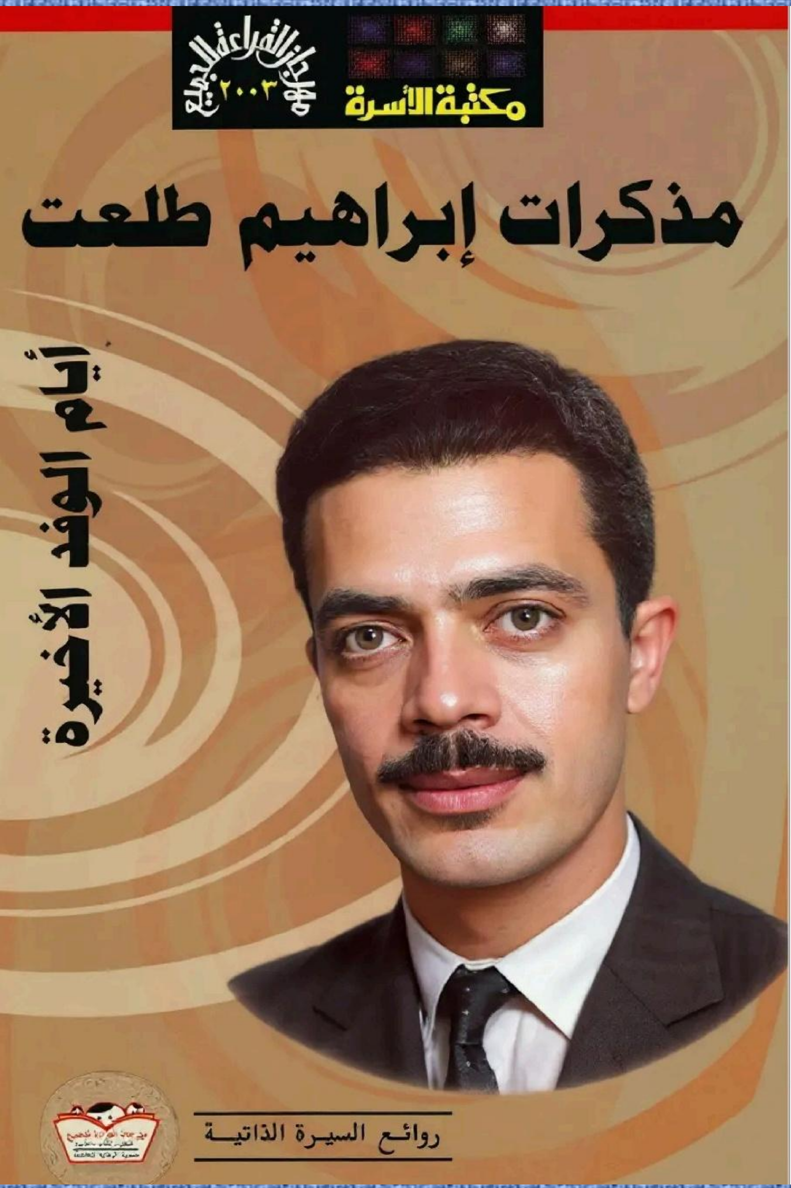
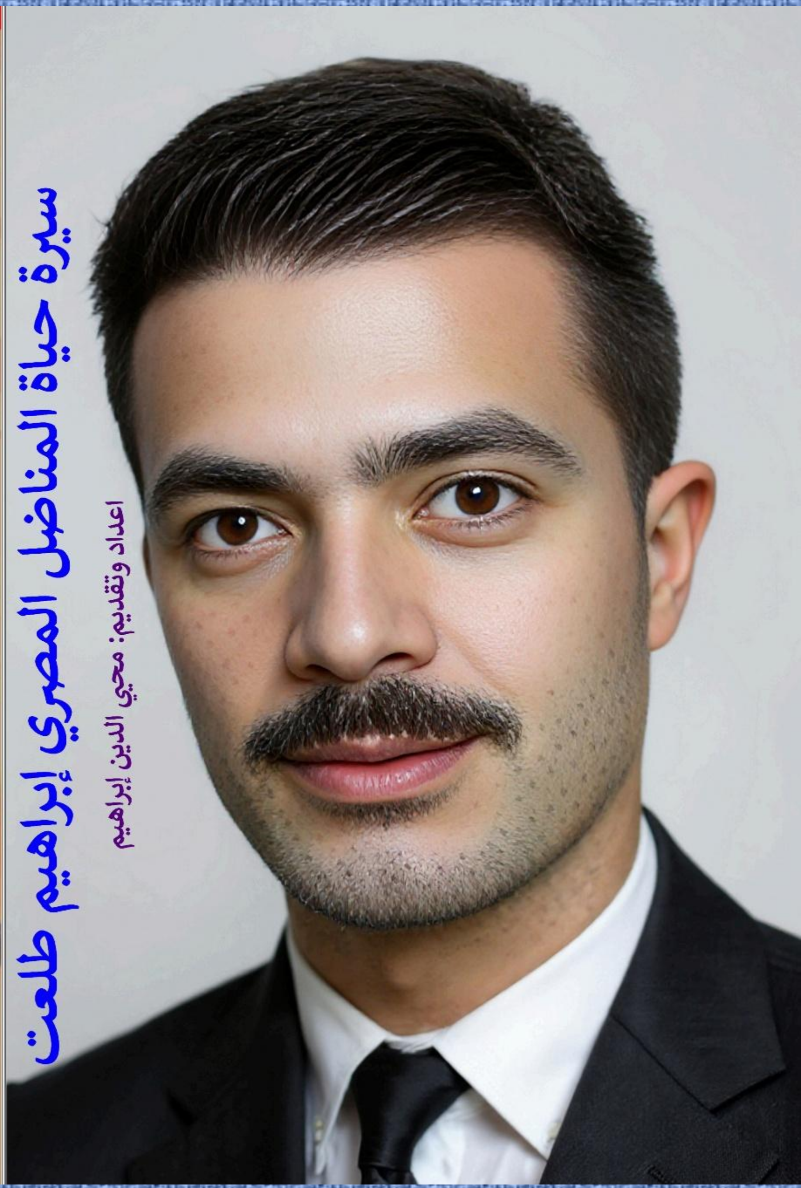



١٥ سبتمبر ١٩١٧م - ١٦ يناير ١٩٩٣م

# سيرة حياة المناضل المصري

# إبراهيم طلعت

# ( 1917 – 1993 )

**اعداد وتقديم**

**محيي الدين إبراهيم**

# الفهرس

- كيف خرج أكثر صلابة وإصرارًا

**الفصل السادس: على مشارف العاصفة – مصر في الأربعينيات**

- مصر والحرب العالمية الثانية
- الوفد بين مقاومة الاحتلال ومساومات القصر
- أحداث 4 فبراير 1942 والانكشاف السياسي
- خطب طلعت في زمن الحرب
- بروز الحركات السياسية الجديدة
- المواجهة مع البوليس السياسي
- القضية الفلسطينية والجيش المصري
- مرافعاته ضد القوانين الجائرة
- مصر على أبواب الانفجار

**الفصل السابع: معارك ما بعد الحرب**

- مصر في مفترق الطرق بعد 1945
- فلسطين كأولوية وطنية وعربية
- الوفد في مواجهة السلطة والاحتلال
- تصاعد الحركة الشعبية (طلاب – عمال – مظاهرات)
- مرافعاته الوطنية ضد القوانين الاستبدادية
- المواجهة مع القصر
- الطريق إلى حرب 1948 والهزيمة
- الاغتيالات السياسية وتصاعد العنف
- مصر على أعتاب الثورة

**الفصل الثامن: الثورة والمحكمة**

- ثورة يوليو وسقوط القصر
- الوفد أمام سلطة الضباط
- استدعاء طلعت إلى محكمة الثورة
- المرافعة الأخيرة: كلمة في وجه السلطة
- صدى المحاكمة في الشارع
- العقوبة والمنفى الداخلي
- رفاق الأمس جلادون اليوم

**الفصل التاسع: السجون مجددًا وتأملات المنفى الداخلي**



**الفصل العاشر: حصاد العمر وإرث المجاهد**



**الخاتمة**

**تمهيد:**

**حكاية شغف وبداية رحلة**

منذ الصغر، كنت مأخوذًا بتاريخ مصر، قديمه وحديثه، أقرأ كل ما تقع عليه يدي من كتب وسير وأحداث صنعت وجه هذا الوطن. لم يكن شغفي بالتاريخ مجرد قراءة للتسلية، بل كان بحثًا عن أولئك الذين استطاعوا أن يتركوا بصماتهم في مسيرة مصر، سواء أنصفهم القدر أو خانهم التقدير، وسواء حصدوا المجد أو أفنوا حياتهم في صمت من أجل الحرية.

وفي سنوات الجامعة، شاءت المصادفة أن يقع في يدي كتاب صغير الحجم، عظيم الأثر، أصدرته الهيئة العامة للكتاب بعنوان **"أيام الوفد الأخيرة"** لمؤلفه المجاهد المصري **إبراهيم طلعت**. ومنذ الصفحة الأولى، شعرت أنني أمام رجل استثنائي: أسلوبه أدبي مشبع بالدراما، لغته صافية، رؤيته سياسية ناضجة، وكأن الكتاب لم يكن مجرد شهادة سياسية، بل كان مدرسة كاملة في الوطنية والفكر والكتابة معًا.

أعدت قراءة الكتاب مرات ومرات. وكلما أغلقته، عاودني نفس الإحساس: أمنية لو أنني التقيت بهذا الرجل يومًا، أو جلست إلى جانبه لأسمع منه مباشرة، أو لأتتلمذ على حكمته. كانت هذه الأمنية تعود إليّ كحلم يتكرر كلما عدت إلى الكتاب.

وبعد سنوات طويلة، شاءت الأقدار أن يتحقق لي جزء من هذا الحلم، حين تعرفت بالصدفة إلى الأستاذ **مصطفى إبراهيم طلعت**، نجل هذا المناضل العظيم. كان هذا اللقاء بالنسبة لي إشارة خفية، علامة تقول إن

الحلم لم يضع، وإن صوت الرجل ما زال حيًّا في أبنائه وذكراه. عندها عقدت العزم أن أكتب عنه، لا لمجرد التوثيق، بل كنوع من **رد الجميل،** لا لشخصه وحده، بل لكل جيل المناضلين الذين أفنوا حياتهم في سبيل وطن أنقى وأجمل اسمه **مصر**.

وهكذا، أكتب هذه السيرة بقلبي قبل قلمي، وفاءً لذاك الرجل الذي تحول من مجرد اسم في كتاب إلى مدرسة متكاملة في وعيي ووجداني.

## مقدمة:

### لماذا نقرأ عن الأبطال والمناضلين؟

قد يتساءل المرء: ما سر هذا الشغف الذي يسكننا كلما وقعت أعيننا على سيرة بطل من أبطال الحرية، أو مناضل حمل عمره على كفه، أو ثائر جعل من حياته وقودًا لأرضه؟ لماذا يظل الحديث عنهم حيًّا في قلوبنا، حتى بعد أن يطويهم الزمن، وتغيب أجسادهم تحت التراب؟

الإجابة لا تكمن فقط في التاريخ، بل في جوهر الإنسان نفسه. فالأبطال والمناضلون ليسوا مجرد أشخاص عاشوا في حقبة معينة، بل هم مرايا تعكس أعمق أشواقنا: شوقنا إلى الكرامة، وإلى العدالة، وإلى أن نعيش في وطن لا يستعبدنا فيه غريب ولا يذلنا فيه مستبد. إنهم يمثلون الإجابة الحيّة عن سؤال الحرية، ذاك السؤال الأزلي الذي يلاحق كل إنسان منذ ولادته: *هل أعيش حرًّا أم عبدًا؟*

نقرأ عنهم لأنهم اختاروا الطريق الأصعب، ذاك الذي يتجنبه الكثيرون. لم يرضوا بالاستكانة، ولم يقبلوا بالقيود، بل حملوا آلامهم وأحلامهم ومضوا بها في وجه قوى تفوقهم قوة وعدة. وحين نتأمل حكاياتهم، نشعر أن البطولة ليست شيئًا بعيدًا أو خارقًا، بل هي فعل إنساني أصيل، متاح لكل من يؤمن أن الكرامة أغلى من العمر.

وطنياً، نحن نقرأ عنهم لأنهم هم الذين صاغوا معنى الوطن ذاته. فالوطن ليس مجرد أرض وحدود، بل دماء سالت، وصرخات دوّت، وأعمار فنيت لتبقى رايته مرفوعة. إنهم الذين جعلونا نفهم أن الاستقلال ليس وثيقة توقع، بل مسيرة تضحيات تُخاض جيلًا بعد جيل.

وقيميًا، نقرأ عنهم لأنهم يذكّروننا بأن القيم ليست شعارات تُرفع في الخطب، بل أثمان تُدفع في السجون والمشانق والميادين. الحرية، العدل، المساواة... كلها كلمات تبقى جوفاء حتى يأتي من يسكب فيها حياته ليمنحها معنى.

وإنسانيًا، نقرأ عنهم لأنهم يمنحون لوجودنا بعدًا أسمى. إنهم يثبتون أن الإنسان قادر على أن يتجاوز أنانيته، أن يقدّم حياة الآخرين على حياته، وأن يختار الفناء في سبيل قيمة عليا. وهذا هو ذروة المعنى الإنساني: أن تحيا لأجل ما هو أكبر منك.

من هنا نفهم لماذا لا يموت الأبطال، ولماذا تبقى سيرهم أحياء فينا. فهم ليسوا مجرد ذكرى، بل نار تحت الرماد، توقظنا كلما خفت صوت الحق، وتذكّرنا أن الحرية لم تكن يومًا هدية من محتل أو سلطان، بل كانت دومًا ثمرة تضحيات رجال ونساء آمنوا أن الوطن يستحق أن يُعاش ويُعاش له.

إننا نقرأ عن الأبطال لأننا، في أعماقنا، نريد أن نصير مثلهم، أو على الأقل نريد أن نحيا في وطن صاغوه بدمائهم وأحلامهم. نقرأ عنهم لأنهم يعلّموننا الدرس الأبدي: أن الحرية هي جوهر الإنسان، وأن الكرامة هي أثمن ما نملك، وأن من يهب حياته لوطنه لا يغيب، بل يخلد في ضمير الأمة.

# الفصل الأول:

# الجذور والبدايات

### الإسكندرية: مدينة البحر والسياسة

فى ١٥ سبتمبر ١٩١٧ لم يكن ميلاد إبراهيم طلعت حدثًا عابرًا في أسرة مصرية تقليدية، بل كان صدى لزمن يتفجر بالتحولات. الإسكندرية، تلك المدينة التي حملت على شواطئها تاريخًا يمتد من عهد البطالمة إلى الاحتلال الإنجليزي، كانت مسرحًا للتمازج بين الشرق والغرب، وبين الانفتاح الكوزموبوليتي وصوت الوطنية المصرية المتأجج. في أحيائها الشعبية وميادينها الرحبة، كان البحر يجيء بالسفن الأجنبية، لكنه يجيء أيضًا بأحلام الحرية، والمدينة بكل ضوضائها وصخبها كانت رحمًا خصبًا لولادة رجل مثل إبراهيم طلعت.

الإسكندرية لم تكن مجرد مدينة ساحلية، بل كانت مركزًا للنشاط السياسي والاقتصادي والثقافي. فيها ترعرعت الحركات العمالية، وانطلقت الصحافة الوطنية، وتجذرت الأفكار التي تربط بين مصر والعالم. لذلك، كان طبيعيًا أن ينشأ فيها شاب يرى السياسة جزءًا من حياته اليومية، لا أمرًا بعيدًا عن واقعه.

### الأسرة والنشأة: بيت وطني يزرع بذور الوعي

وُلد إبراهيم طلعت في أسرة مصرية متوسطة، ذات تقاليد وطنية راسخة. لم يكن البيت ثريًا بالمال، لكنه كان ثريًا بالقيم. الأب، مثل كثير

من رجال الطبقة الوسطى المصرية، حمل وعيًا وطنيًا تشكل من أحداث ثورة 1919 التي اجتاحت البلاد في صرخات سعد زغلول. أما الأم، فقد غرست في أبنائها قيم الصبر والصدق، وكانت تحرص على أن يظل البيت مفتوحًا للضيوف والأقارب، فيتحول المجلس العائلي إلى منبر للحديث عن السياسة والأوضاع العامة.

في مثل هذه البيئة، نما وعي إبراهيم طلعت مبكرًا. كان يسمع الكبار يتحدثون عن "الاحتلال"، عن الإنجليز الذين يسيطرون على مصر باسم "الحماية"، وعن نضال الوفد وسعد زغلول. هذه الكلمات لم تكن بالنسبة له مجرد أصوات تتردد في فضاء البيت، بل كانت بذورًا تغرس في قلبه إحساسًا بالانتماء ومسؤولية تجاه الوطن.

**التعليم الأولي وملامح التكوين العقلي**

دخل إبراهيم طلعت المدارس النظامية في الإسكندرية، وكان منذ طفولته متفوقًا في دراسته، يميل إلى القراءة وحب المطالعة. المكتبات العامة في المدينة كانت بالنسبة له جنة مفتوحة، ينهل منها كتب التاريخ والسياسة، إلى جانب الأدب والفلسفة. هناك اكتشف أسماء مثل مصطفى كامل ومحمد فريد، وقرأ عن الثورات الأوروبية، وعن مبادئ الحرية والعدالة.

تميز بقدرة على النقاش، فلم يكن يكتفي بالحفظ أو التلقين، بل يسأل ويجادل. معلموه أدركوا فيه نزعة قيادية مبكرة، وكانوا يرونه يجمع

زملاءه بعد الحصص ليتحدث عن قضايا الوطن وكأنّه خطيب صغير يتدرب على منصة المستقبل.

**ثورة 1919 وأصداؤها في وعي الصبي**

كانت ثورة 1919 لحظة فارقة في حياة إبراهيم طلعت، رغم أنه لم يكن قد تجاوز بعد سنوات الفتوة الأولى. رأى بعينيه المظاهرات الشعبية تعم الإسكندرية، الرجال والنساء يهتفون باسم سعد زغلول والاستقلال. سمع صرخات "يحيا سعد"، ورأى الجنود البريطانيين يحاولون قمع الحشود. تلك المشاهد حفرت في ذاكرته وجدانًا لا يُمحى: أن الحرية تُنتزع ولا تُمنح، وأن الشعب حين يتحرك يصبح أقوى من السلاح.

هذه الثورة صنعت من الطفل فتىً مسيّسًا قبل الأوان، وخلقت داخله شغفًا لا يخبو بالعمل العام. لم يعد مجرد تلميذ مجتهد، بل صار مشروع مناضل يتغذى على تاريخ الحركة الوطنية، ويرى نفسه امتدادًا لزمن النضال الكبير.

**بدايات النشاط الطلابي**

مع دخوله المرحلة الثانوية في **المدرسة العباسية بالإسكندرية**، وجد إبراهيم طلعت نفسه وسط بيئة زاخرة بالأنشطة السياسية والثقافية. كانت المدرسة بؤرة للحركة الطلابية، ومسرحًا للمظاهرات التي لا تهدأ. هنا بدأ أول احتكاك مباشر له بالعمل الوطني.

شارك في تنظيم الإضرابات الطلابية التي اندلعت تضامنًا مع المعتقلين السياسيين أو احتجاجًا على ممارسات الاحتلال. كان يهتف، يوزع المنشورات، ويكتب الكلمات الحماسية بخط يده على أوراق صغيرة تُمرر سرًا بين التلاميذ. هذه التجربة منحته أول إحساس بالقوة الجماعية، وأكدت له أن "الكلمة" حين تتحول إلى شعار جماعي تصبح أقوى من الرصاص.

**الصحبة الطلابية وتشكيل الهوية السياسية**

لم يكن إبراهيم طلعت وحيدًا في دربه، بل أحاط نفسه بمجموعة من الزملاء الذين شاركوه الحلم ذاته. هذه الصحبة شكلت نواة فكرية صغيرة، يناقشون فيها أفكار الحرية والديمقراطية، ويستعيدون أمجاد الزعماء الوطنيين. كانوا يقرؤون الصحف الوطنية مثل "المصري" و"الأهرام"، ويتابعون باهتمام أخبار مصطفى النحاس والوفد.

تحت هذه الظروف، بدأت تتبلور شخصية إبراهيم طلعت السياسية: مزيج من المثقف القارئ، والوطني المتحمس، والناشط الميداني. كان يؤمن بأن العلم والسلاح الفكري لا يقلان أهمية عن المظاهرات والهتاف، وأن السياسة تحتاج إلى عقل بقدر ما تحتاج إلى شجاعة.

**من الوعي الفردي إلى الفعل الجماعي**

تدرج إبراهيم طلعت من مجرد متابع شغوف إلى مشارك فعال. لم يعد يكتفي بالقراءة أو النقاش، بل صار يسعى لتوظيف معرفته في خدمة النضال. كان يحضر الندوات التي يقيمها الوفديون في الإسكندرية،

ويجلس بين الجماهير ليستمع إلى خطب النحاس باشا وغيره من الزعماء. في كل مرة يخرج أكثر اقتناعًا بأن مكانه الطبيعي هو بين هؤلاء المناضلين، وأن رسالته في الحياة ستكون الدفاع عن الحرية.

**ملامح القيادة المبكرة**

لاحظ زملاؤه أنه يملك حضورًا قويًا، صوته جهوري، وكلماته مرتبة كأنها خطب مُحضّرة. في الإضرابات الطلابية كان يُدعى ليلقي كلمة قصيرة تحفّز التلاميذ، وكانت كلماته تشعل الحماس في القلوب. هذه الموهبة الخطابية المبكرة جعلت الكبار يلتفتون إليه، ويرون فيه نواة قائد سياسي قادم.

**الطريق نحو المحاماة**

مع اقتراب نهاية المرحلة الثانوية، بدأ إبراهيم طلعت يفكر في مستقبله. لم يكن الميل للمال أو الوجاهة الاجتماعية ما دفعه لاختيار دراسة الحقوق، بل إيمانه بأن القانون هو السلاح الأقوى في مواجهة الاستعمار والاستبداد. رأى في المحاماة وسيلة لإعلاء صوت العدالة، ولإعطاء المظلومين منبرًا في مواجهة السلطة. وهكذا خطا أولى خطواته نحو مهنته المستقبلية التي ستصبح ركيزة نضاله الوطني.

**خلاصة البدايات**

هكذا يمكن القول إن الجذور الأولى لإبراهيم طلعت قد نمت في بيئة مشحونة بالسياسة، في مدينة تعدّ ملتقى للأفكار والتيارات، وبين أسرة زرعت فيه حب الوطن، ومدرسة صقلت وعيه، وثورة كبرى فجّرت

داخله شغف الحرية. كان الفصل الأول من حياته تدريبًا مبكرًا على النضال، ومقدمة لمسيرة حافلة سيخوضها لاحقًا في قاعات المحاكم، ميادين السياسة، وزنازين السجون.

لقد أُعدّ إبراهيم طلعت منذ طفولته ليكون مجاهدًا بالكلمة والقانون، وليحمل مشعل الوفد جيلاً بعد جيل.

# الفصل الثاني

# بين مقاعد الدراسة وميادين الثورة

**المدرسة العباسية الثانوية: مصنع الوعي الوطني**

حين التحق إبراهيم طلعت بالمدرسة العباسية الثانوية في الإسكندرية، لم يكن يدرك أن هذه المدرسة ستصبح محطة حاسمة في تكوين شخصيته. العباسية لم تكن مجرد مؤسسة تعليمية، بل كانت آنذاك أشبه ببرلمان صغير للشباب؛ فيها يتلاقى أبناء المدينة من مختلف الطبقات، ويتبادلون الأفكار والآراء، ويتشكل الوعي السياسي في قلب مقاعد الدراسة.

في أروقة المدرسة، كان الطلبة ينهلون من العلوم، لكنهم ينهلون أيضًا من حرارة النقاشات. الأساتذة الكبار لم يكونوا محايدين، بل كانوا ينقلون بين السطور رسائل وطنية عن الاستقلال والدستور. هذه الرسائل التقطها إبراهيم طلعت بعين يقظة، فأدرك أن التعليم لا ينفصل عن السياسة، وأن المدرسة ليست جدرانًا صامتة، بل فضاء يتشكل فيه وعي الأمة.

**أولى المواجهات مع الاحتلال الإنجليزي**

في تلك السنوات، كان الاحتلال الإنجليزي يسيطر على مصر بقبضة حديدية، وكان الجنود يتجولون في شوارع الإسكندرية كأنهم أصحاب الأرض. لم يكن الطلاب بعيدين عن هذا المشهد؛ كانوا يرون الجنود

أمام أبواب المدارس، وفي الشوارع المؤدية إلى الميادين الكبرى. وفي إحدى المرات، شارك إبراهيم طلعت في تظاهرة طلابية خرجت من العباسية، فواجههم الجنود الإنجليز بالهراوات. كانت تلك أول مواجهة مباشرة له مع سلطة الاحتلال، تركت على جسده بعض الكدمات، لكنها حفرت في قلبه تصميمًا لا يلين.

لقد كانت تلك اللحظة بمثابة "معمودية النار"، كما يصفها هو في مذكراته، إذ شعر أن النضال لم يعد شعارًا يُردد، بل تجربة تُعاش وتُدفع أثمانها من العرق والدم.

**الصحبة الطلابية وتكوين النواة الأولى للحلم**

لم يكن إبراهيم طلعت وحيدًا في تلك المواجهات. حوله تشكلت مجموعة من الزملاء الذين شاركوه الحلم ذاته: مصر حرة مستقلة، يحكمها دستور شعبي. كانوا يجتمعون بعد الدروس في مقاهي الإسكندرية الصغيرة، يتناقشون في أخبار الوفد، يقرأون الصحف الوطنية، ويعيدون صياغة الشعارات على أوراق صغيرة يوزعونها سرًا في الشوارع.

هذه الصحبة لم تكن مجرد رفقة دراسة، بل كانت نواة أولى لتنظيم شبابي وطني غير معلن. كل واحد منهم كان يدرك أنه يضع نفسه تحت المراقبة، وأن أعين البوليس السياسي تترصدهم، ومع ذلك ظلوا ماضين في طريقهم، كأنهم يسيرون نحو قدر لا مفر منه.

**الوعي المبكر بسعد زغلول ومصطفى النحاس**

من خلال النقاشات والقراءات، تفتحت أمام إبراهيم طلعت أسماء كبار الزعماء الوطنيين. سعد زغلول بالنسبة له كان أيقونة الثورة، وصوت الشعب الذي تحدى الإنجليز وقصر عابدين معًا. أما مصطفى النحاس، فقد رآه امتدادًا لذلك الخط، رجل الدستور الذي رفع شعار "الدستور هو السيد".

كان الشاب الصغير يردد كلمات هؤلاء الزعماء كما لو كانت أناشيد تحفظ عن ظهر قلب. لم يكن يرى فيهم مجرد قادة سياسيين، بل رموزًا للحرية والكرامة. لذلك، لم يكن غريبًا أن يجد نفسه منجذبًا نحو الوفد منذ نعومة أظفاره، وأن يقرر لاحقًا أن يكون واحدًا من رجاله.

**من شعارات الطلاب إلى المظاهرات الشعبية**

لم يقتصر نشاط طلعت ورفاقه على محيط المدرسة. سرعان ما عبروا أسوارها إلى الشارع العام، حيث المظاهرات الشعبية التي تهتف ضد الاحتلال وتطالب بعودة الحياة النيابية. كان الطلاب في مقدمة الصفوف، يجرون الهتافات، ويرفعون اللافتات.

في إحدى المرات، شارك طلعت في مسيرة طلابية ضخمة انطلقت من ميدان محطة الرمل، وسارت حتى مبنى المحافظة. كانت الحشود تهتف ضد القصر والإنجليز، وعندما حاولت قوات البوليس تفريقها اندلعت الاشتباكات. يتذكر طلعت أنه وجد نفسه يحمل حجرًا صغيرًا ويقذفه نحو الجنود، لأول مرة يستخدم يده لا صوته فقط.

كان ذلك الانتقال من الهتاف إلى الفعل لحظة فارقة في تكوينه، جعلته يدرك أن الثورة ليست مجرد كلمات، بل فعل جماعي يغيّر الواقع.

**الكتابة السرية ومنشورات المقاومة**

من بين الأنشطة التي انخرط فيها طلعت وزملاؤه كتابة المنشورات السرية. كانوا يكتبون بخط اليد شعارات مثل "يحيا الوفد"، "يسقط الاحتلال"، "الدستور أو الموت"، ثم يوزعونها ليلًا على أبواب المتاجر والمدارس. كانت هذه المنشورات بمثابة "صوت الشعب" حين تصادر الصحافة أو تُكمم الأفواه.

طلعت نفسه كان يمتلك قلمًا قويًا، يكتب بلغة حماسية تجعل المنشور قصيرًا لكنه مكثفًا، يحمل رسالة واضحة. هذه التجربة صقلت موهبته في الكتابة السياسية، ومهدت لاحقًا لدوره كمحامٍ يستخدم الكلمة كسلاح في مواجهة السلطة.

**المدرسة بوصفها برلمانًا مصغرًا**

لم يكن غريبًا أن تتحول المدرسة العباسية إلى ما يشبه البرلمان. الطلاب يعقدون اجتماعات سرية، ينتخبون من يمثلهم، يناقشون القرارات، ويصوغون بيانات. إبراهيم طلعت كان في قلب هذه الدينامية، يترأس الاجتماعات أحيانًا، ويكتب البيانات في أحيان أخرى. لقد تدرب على القيادة في هذا المحيط الصغير، كأنه يتأهل لدور أكبر ينتظره خارج أسوار المدرسة.

**العلاقة المبكرة بالصحافة الوطنية**

إلى جانب نشاطه الميداني، كان طلعت يتابع بشغف الصحافة الوطنية. جريدة "المصري" التي أسسها أحمد أبو الفتح، و"الأهرام" بكتابها الكبار، و"البلاغ" بجرأتها، كلها كانت تشكل له مصادر يومية للوعي. أحيانًا يكتب مقالات صغيرة باسم مستعار تُنشر في صحف طلابية أو نشرات محلية. هذه العلاقة بالصحافة ستصبح لاحقًا جزءًا من نضاله حين يستخدمها كمنبر لتعرية الاستبداد.

**وعي مزدوج: بين الدراسة والشارع**

رغم انشغاله بالنشاط السياسي، لم يهمل إبراهيم طلعت دراسته. كان يرى أن التفوق العلمي جزء من النضال، وأن الطالب الذي يخفق في دراسته يفقد جزءًا من سلاحه. لذلك، ظل محافظًا على تفوقه الأكاديمي، حتى وهو يتعرض للمطاردات والمضايقات الأمنية.

هذا الوعي المزدوج – الجمع بين الدراسة والعمل العام – جعله نموذجًا للمناضل المتوازن، الذي لا يكتفي بالشعارات بل يبني نفسه علميًا ليكون قادرًا على مواجهة الخصم على كل المستويات.

**البذور الأولى للمحاماة كطريق**

مع اقتراب نهاية المرحلة الثانوية، بدأ طلعت يفكر جديًا في مستقبله. كل تجاربه الطلابية أكدت له أن النضال يحتاج إلى أداة قانونية قوية. كان يرى المحامي ليس مجرد صاحب دعوى أمام المحكمة، بل صوتًا للشعب في مواجهة السلطة. لذلك، كان قراره الطبيعي أن يلتحق بكلية الحقوق.

لقد كان هذا القرار حصيلة تجربة كاملة: من الهتافات في شوارع الإسكندرية، إلى المواجهات مع الجنود، إلى كتابة المنشورات. كلها كانت تقول له: "الكلمة تحتاج إلى منبر، والقانون هو ذلك المنبر".

**خلاصة الفصل**

بهذا، يمكن القول إن سنوات الدراسة الثانوية لم تكن مجرد مرحلة تعليمية عابرة في حياة إبراهيم طلعت، بل كانت ورشة تأسيس لمشروع سياسي كامل. في المدرسة اكتشف قدراته الخطابية، في الشارع مارس أولى المواجهات مع الاحتلال، وفي الصحافة تعلّم قوة الكلمة، وفي الصحبة الطلابية وجد معنى التضامن والعمل الجماعي.

لقد خرج من تلك المرحلة ليس فقط طالبًا متفوقًا، بل قائدًا صغيرًا يحمل مشروعًا كبيرًا: أن يكون صوتًا للحرية في زمن القهر، وأن يحوّل المحاماة لاحقًا إلى ساحة جديدة للنضال الوطني.

# الفصل الثالث

# المحاماة كمنبر للنضال

**الحقوق: اختيار المصير**

حين أنهى إبراهيم طلعت دراسته الثانوية، لم يكن أمامه سوى طريق واحد يراه جديرًا بحلمه الوطني: كلية الحقوق. لم ينجذب إلى الطب أو الهندسة كما فعل كثير من أقرانه، بل وجد في دراسة القانون سلاحًا معنويًا وأخلاقيًا يستطيع أن يواجه به الاحتلال والسلطة. كان يدرك أن النضال في الشارع وحده لا يكفي، وأن الكلمة المكتوبة في نص قانوني أو مرافعة قد تزلزل عروش الطغيان.

لقد رأى في المحامي صورة المجاهد، لا صورة الموظف. كان يرى قاعة المحكمة ساحة معركة، والمرافعة طلقة تطلق في وجه الظلم. وهكذا دخل كلية الحقوق في جامعة فؤاد الأول (القاهرة) بروح المناضل، لا بروح الطالب فقط.

**سنوات الجامعة: وعي سياسي يتعاظم**

في الجامعة، وجد إبراهيم طلعت نفسه وسط حراك سياسي لا يقل سخونة عن الشارع. كان طلاب الحقوق خصوصًا رأس الحربة في المظاهرات ضد الإنجليز والحكومات الموالية للقصر. شارك في الجمعيات الطلابية، وحضر الندوات الفكرية التي كانت تناقش قضايا الدستور والاستقلال.

لم تكن الجامعة مجرد مكان لتحصيل القانون، بل كانت مختبرًا للأفكار السياسية. وهناك، انخرط في نقاشات طويلة حول العدالة الاجتماعية، الإصلاح الزراعي، ودور القانون في بناء دولة مستقلة. هذه النقاشات صقلت عقله القانوني والسياسي في آن واحد، ورسخت في داخله فكرة أن الوطنية ليست مجرد شعارات، بل برامج وقوانين.

**افتتاح مكتب المحاماة في الإسكندرية**

بعد التخرج، عاد إبراهيم طلعت إلى مسقط رأسه الإسكندرية، وافتتح مكتبًا للمحاماة. المكتب لم يكن مجرد مكان لتسيير القضايا، بل كان مقرًا وطنيًا غير معلن. سرعان ما أصبح ملتقى للمناضلين، يأتونه ليستشيروه في قضاياهم أو يطلبوا مساعدته في الدفاع عن المعتقلين السياسيين.

كان المكتب يعج بالعمال الذين تعرضوا للقمع، بالفلاحين المهددين بالإخلاء من أراضيهم، وبالطلاب الذين اعتقلتهم الشرطة لمجرد توزيع منشور. لم يكن طلعت يسألهم عن أتعاب، بل كان يعتبر نفسه في خدمة القضية الوطنية، حتى لو اضطر أن يقتطع من ماله الخاص لتسيير الدعوى.

**الدفاع عن العمال والفلاحين**

من أبرز ما ميّز مسيرة طلعت المهنية أنه جعل من الدفاع عن العمال والفلاحين قضية مركزية. في زمن كان فيه كبار الملاك وأصحاب الشركات يستغلون العمال بأبشع الطرق، كان طلعت يرفع صوته في

المحاكم مطالبًا بحقوق هؤلاء البسطاء. كان يستند إلى نصوص القانون، لكنه يضفي عليها روحًا ثورية، فيحوّل المرافعة إلى بيان سياسي يفضح الظلم الاجتماعي.

وفي الريف، دافع عن الفلاحين الذين كانوا مهددين بالطرد من أراضيهم بسبب ديون متراكمة أو عقود ظالمة. كان يواجه كبار الملاك دون خوف، في بلدٍ اعتاد فيه البسطاء أن ينحنوا أمام السلطة. هذه المواجهة منحته مكانة خاصة في قلوب الناس، وأصبح اسمه مرتبطًا بالعدالة الشعبية.

**المحاماة كخط دفاع وطني**

لم يتوقف دوره عند القضايا الاجتماعية، بل اتسع ليشمل القضايا السياسية المباشرة. كان يتولى الدفاع عن المعتقلين في المظاهرات الوطنية، وعن الصحفيين الذين حوكموا بسبب مقالات جريئة. في كل مرة يقف أمام المحكمة، كان يدرك أنه لا يخاطب القضاة فقط، بل يخاطب التاريخ.

لقد استخدم القانون كأداة مقاومة، وأثبت أن النصوص التي قد يستعملها الاحتلال لتقييد الحريات يمكن أن تتحول بيد محامٍ وطني إلى سلاح يفضح الظلم. هكذا تحولت قاعة المحكمة إلى منبر نضالي، وصار اسم إبراهيم طلعت يتردد كأحد أبرز الأصوات المدافعة عن الحرية.

**المحكمة منصة للمرافعة الوطنية**

كانت مرافعاته تتميز بلغة قوية تجمع بين المنطق القانوني والبلاغة الخطابية. كان يبدأ من النصوص، ثم يوسعها لتشمل المبادئ الدستورية، وينتهي إلى نداء وطني مباشر. في إحدى القضايا قال: *"القانون ليس حروفًا جامدة، بل روح تُصان بها كرامة الأمة. وإن كان الإنجليز يسنّون القوانين لتقييدنا، فإننا سنحوّلها إلى سلاح في وجههم حتى تعود السيادة لشعب مصر."*

هذه الروح جعلت جلسات المحاكمة تتحول إلى مهرجانات وطنية، يحضرها الجمهور لمجرد سماع مرافعات طلعت. كان القاضي نفسه أحيانًا يجد صعوبة في منع التصفيق داخل القاعة.

**العلاقة بالوفد عبر المحاماة**

لم يكن غريبًا أن يقترب طلعت أكثر من الوفد في هذه المرحلة. فقد رأى في الحزب تجسيدًا للمبدأ الذي يؤمن به: "الدستور هو السيد". عبر المحاماة، وجد نفسه في خط الدفاع عن قضايا الوفد، سواء في البرلمان أو الشارع. كان يتعاون مع قادة الحزب في صياغة المرافعات والبيانات القانونية، ويشارك في الاجتماعات المصغرة التي تبحث في كيفية مواجهة القوانين الجائرة.

لقد أصبحت المحاماة بالنسبة له بوابة عملية للانخراط الكامل في الحياة السياسية، وجسرًا يربطه مباشرة بالجماهير من جهة، وبالقيادة الوطنية من جهة أخرى.

**بين قاعة المحكمة والشارع**

لم يكن طلعت محاميًا مكتفيًا بعمله داخل القاعات المغلقة، بل كان يخرج بعد المحاكمات ليشارك في المظاهرات الشعبية. أحيانًا كان يقود بنفسه المسيرات التي تخرج من المحكمة إلى الشارع، يهتف ضد الاحتلال ويشرح للناس ما دار في الجلسة. بهذه الطريقة، كان يربط بين القانون والشارع، بين المرافعة والهتاف، ليؤكد أن النضال وحدة لا تتجزأ.

**صورة المحامي المناضل**

مع مرور السنوات، تشكلت حول طلعت صورة مميزة: المحامي الذي لا يساوم، الذي يقف دائمًا في صف الشعب حتى لو كلفه ذلك سجنه أو إغلاق مكتبه. هذه الصورة جعلته رمزًا من رموز الوطنية في الإسكندرية، وجعلت من اسمه مرادفًا للشجاعة والاستقامة.

لم يكن يرى نفسه رجل قانون فحسب، بل رجل قضية. وكان يردد دائمًا أن المحامي الحقيقي ليس من يكسب القضايا فقط، بل من يجعل من قضيته قضية الأمة كلها.

**إرهاصات المرحلة التالية**

هكذا تحولت المحاماة إلى منبر نضال، وصار إبراهيم طلعت صوتًا جهوريًا في مواجهة الاحتلال والاستبداد. هذه المرحلة أعدته لما هو أكبر: الانخراط المباشر في قلب الوفد، المشاركة في معارك البرلمان، والتصدي لسلطة القصر والإنجليز معًا.

لقد أصبح الآن رجلًا مكتمل العدة: عقل قانوني حاد، لسان خطيب مفوه، وقلب وطني لا يعرف الخوف. كان على موعد مع مرحلة جديدة، حيث سيجلس إلى جوار مصطفى النحاس ورفاقه، ويصبح شاهدًا ومشاركًا في أعنف معارك الوفد مع القصر والثورة.

# مقدمة انتقالية

# من الوعي إلى الفعل

لم تكن رحلة إبراهيم طلعت في بداياتها مجرد سيرة شخصية لشاب طموح يبحث عن مستقبله، بل كانت انعكاسًا لمسيرة وطن يفتش عن هويته تحت وطأة الاحتلال. في الإسكندرية، حيث ولد، انفتح وعيه على البحر المفتوح والمدينة المزدحمة بالجنود الأجانب، وتعلم منذ طفولته أن مصر ليست ملكًا لأبنائها ما دام الاحتلال جاثمًا على صدرها. تلك **الجذور الأولى**، بما حملته من تأثيرات أسرية ووطنية، صاغت البذرة الأولى لروح التمرد في داخله.

ومع دخوله **المدرسة العباسية الثانوية**، انتقل من طور التلقي إلى طور المشاركة. لم يعد مجرد متفرج على المظاهرات الشعبية، بل صار في قلبها. هناك، وسط زملائه ورفاقه، صنع أولى تجاربه في القيادة والعمل الجماعي، وذاق مرارة الاصطدام بالجنود الإنجليز. بين المنشورات السرية والهتافات في الشوارع، تفتحت أمامه أبواب النضال، وتأكد له أن السياسة ليست رفاهية، بل قدر محتوم لشباب جيله.

ثم جاءت **المحاماة** لتمنحه السلاح الذي طالما بحث عنه: الكلمة القانونية، والمرافعة التي يمكن أن تتحول إلى بيان وطني. افتتح مكتبه في الإسكندرية لا ليكون مجرد مهنة للرزق، بل ليصبح منبرًا للمظلومين، وساحة مواجهة مع الاحتلال والاستبداد. دافع عن العمال

والفلاحين، ووقف بجوار المعتقلين السياسيين والصحفيين الأحرار، محولًا قاعة المحكمة إلى منصة للحرية.

هكذا، ومع نهاية هذه المرحلة الثلاثية من حياته، كان إبراهيم طلعت قد تدرج من **وعي طفل يشاهد الثورة**، إلى **طالب يهتف في المظاهرات**، ثم إلى **محامٍ يجعل من مهنته رسالة وطنية**. أصبح جاهزًا للدخول في قلب المعترك السياسي، حيث ستقوده الأقدار إلى موقعه الطبيعي: **صفوف الوفد**، الحزب الذي جسّد في نظره حلم الأمة في الاستقلال والدستور.

وبهذا الانتقال، تبدأ مرحلة جديدة أكثر خطورة وثراء: مرحلة المواجهة المباشرة مع القصر والاحتلال، من موقعه كأحد فرسان الوفد وزعماء الأمة.

# الفصل الرابع

# في قلب الوفد وزعامة الأمة

**الوفد: الحزب الذي صار وطنًا**

لم يكن انضمام إبراهيم طلعت إلى حزب الوفد مجرد اختيار سياسي عابر، بل كان تحققًّا طبيعيًا لمسار طويل بدأ منذ الطفولة. فقد نشأ على سماع اسم سعد زغلول في البيت والشارع، وشارك في المظاهرات التي هتفت لمصطفى النحاس، وتعلّم أن الوفد ليس حزبًا بالمعنى التقليدي، بل هو صوت الأمة الذي يجسد إرادتها في الاستقلال والدستور.

بالنسبة له، الوفد كان أكثر من إطار تنظيمي: كان **الوطن في صورة حزب**. وعندما دخل إلى صفوفه، شعر كأنما عاد إلى بيته الطبيعي، حيث يجد نفسه بين رجال يحملون القضية نفسها، ويتشاركون معه الإيمان بأن الاستقلال لا يتحقق إلا بالدستور والحرية.

**العلاقة بمصطفى النحاس**

من اللحظات الفارقة في حياته لقاؤه بمصطفى النحاس باشا. فقد رأى فيه امتدادًا لروح سعد زغلول، ورمزًا للاستقامة الوطنية. كان النحاس، رغم هدوئه الظاهري، شخصية صلبة في مواجهة الاحتلال والقصر، وقد وجد في طلعت الشاب المحامي صوتًا جديدًا قادرًا على حشد الجماهير والدفاع عن خط الوفد.

توطدت العلاقة بين الرجلين، حتى صار طلعت واحدًا من الوجوه البارزة في شباب الوفد. كان النحاس يقدّره لجرأته وبلاغته، فيما كان طلعت يرى فيه المعلم الذي يجسّد مبادئ الدستور في زمن القمع والاضطراب. هذه العلاقة جعلته أقرب إلى قلب الحزب، وأتاحت له المشاركة في دوائره الداخلية.

**بين القاعدة الشعبية والهيئة الوفدية**

لم يكن طلعت من السياسيين الذين يكتفون بالجلوس في المكاتب أو حضور الاجتماعات، بل كان صوته حاضرًا في الشارع كما في قاعات الحزب. كان يجوب الأحياء الشعبية في الإسكندرية، يخاطب الناس في الأسواق والمقاهي، ويشرح لهم مواقف الوفد من القصر والإنجليز. في الوقت نفسه، كان حاضرًا في اجتماعات الهيئة الوفدية، يناقش القوانين، ويعترض على السياسات التي يراها مهادنة للاستعمار. هذا الجمع بين **القاعدة الشعبية** و**المركز القيادي** جعله حلقة وصل بين الجماهير وقيادة الحزب، ومنحه مصداقية مضاعفة.

**الخطب الجماهيرية: الكلمة سلاح الأمة**

أحد أبرز ما ميّز طلعت في هذه المرحلة هو خطبه الجماهيرية. كان يملك صوتًا جهوريًا، ولغة عاطفية تلهب الحماس. حين يصعد إلى المنصة، كان الناس يلتفون حوله بالآلاف، يستمعون إلى كلماته التي تجمع بين القانون والسياسة والروح الوطنية.

كان يبدأ دائمًا من معاناة الناس اليومية: غلاء الأسعار، ظلم الاحتلال، تعسف القصر، ثم يرتفع خطابه ليجعل من هذه المعاناة قضية وطنية عامة. كانت خطبه تنتهي دائمًا بهتاف جماعي يهز الميادين: "يحيا الدستور... يسقط الاحتلال!"، وهو ما جعل اسمه يتردد بين الجماهير باعتباره واحدًا من الأصوات المخلصة.

**معارك البرلمان والشارع**

رغم أن طلعت لم يكن نائبًا في البرلمان في بداياته، إلا أن صوته كان حاضرًا في كل معركة سياسية. كان يكتب المذكرات القانونية للنواب الوفديين، ويساعدهم في إعداد الردود على مشاريع القوانين التي تحاول الحكومة تمريرها ضد إرادة الأمة.

وفي الشارع، كان في الصفوف الأمامية للمظاهرات، يتعرض للاعتقال أحيانًا، ويعود ليخطب أمام الناس بمجرد خروجه. هذه الازدواجية بين "السياسي القانوني" و"المناضل الميداني" جعلته صورة نادرة في زمن كانت السياسة فيه تنقسم عادة بين من هم في البرلمان ومن هم في الشارع.

**المواجهة مع القصر**

لم يكن الوفد مجرد خصم للاحتلال، بل كان في صراع دائم مع القصر، الذي كان يرى في الحزب تهديدًا لسلطته. في هذا السياق، لعب طلعت دورًا مهمًا، إذ كان دائم الانتقاد لسياسات الملك، ولا يتردد في فضح تدخلاته في الحياة النيابية.

كانت خطبه تحمل نبرة تحدٍ، يذكّر فيها بأن **الملك ملك يملك ولا يحكم**، وأن الدستور هو السيد الحقيقي. هذه المواقف جعلته تحت أعين المراقبة الدائمة من البوليس السياسي، لكنها رفعت مكانته لدى الجماهير التي رأت فيه صوتًا لا يخشى القصر ولا الاحتلال.

### دوره في الصحافة الوفدية

إلى جانب المحاماة والخطابة، كان طلعت كاتبًا نشطًا في الصحافة الوفدية. نشر مقالات في صحف الحزب، تناول فيها قضايا الاستقلال والدستور وفضح سياسات القصر والاحتلال. امتازت مقالاته بالجمع بين الأسلوب القانوني الصارم واللغة الأدبية الرفيعة، ما جعلها قريبة من القارئ البسيط والمثقف في آن واحد.

كانت هذه المقالات بمثابة "خطب مكتوبة"، تصل إلى كل بيت، وتعيد تأكيد أن صوت الوفد لا يمكن إسكاتُه حتى لو أغلقت المنابر.

### من المحامي إلى الزعيم الشعبي

بمرور الوقت، لم يعد طلعت مجرد محامٍ بارز أو خطيب جماهيري، بل أصبح زعيمًا محليًا له وزن سياسي في الإسكندرية، واسمًا معروفًا في القاهرة. لقد تجاوز دوره حدود القاعة والميكروفون ليصبح جزءًا من **الذاكرة الجماعية للوفد**.

كان الناس ينظرون إليه كرمز للنقاء السياسي، ورجل لا يعرف المساومة على المبادئ. هذا الرصيد الأخلاقي كان أثمن ما يملكه، وجعله في موقع يحظى بالاحترام حتى من خصومه.

**الإرهاصات نحو العاصفة المقبلة**

مع اقتراب نهاية الأربعينيات، كانت مصر على موعد مع أزمات كبرى: الحرب العالمية الثانية بظلالها الثقيلة، أحداث 4 فبراير 1942، ثم تصاعد الحركة الوطنية بعد الحرب. في قلب هذه الأحداث كان طلعت حاضرًا، يواجه الاحتلال والقصر معًا، ويمهد لمرحلة أشد قسوة، ستدخله السجون وتضعه أمام محاكم الثورة.

لكن قبل تلك العواصف، كانت سنوات الأربعينيات هي لحظة صعوده الكبير، حين أصبح **صوت الوفد في الشارع**، وواحدًا من أبرز وجوه النضال الدستوري في مصر الحديثة.

# مقدمة انتقالية ( 2 )

## من المنصة إلى الزنزانة

خرج إبراهيم طلعت من عباءة الطفولة والفتوة وهو يحمل وعيًا غُرس في قلبه منذ ثورة 1919، ثم تدرّب على الفعل السياسي في ساحات المدارس والجامعات، قبل أن يجد في قاعات المحاكم منبرًا جديدًا للنضال. لكن انتقاله إلى **الوفد** كان الخطوة التي وضعت مسيرته على السكة التاريخية الكبرى؛ من محامٍ وطني إلى زعيم شعبي.

في سنوات الأربعينيات، لمع اسمه خطيبًا ومحاميًا ومفكرًا، حتى صار أحد أبرز الأصوات التي يثق بها مصطفى النحاس، وأحد الجسور التي ربطت بين قيادة الوفد والجماهير الغاضبة. لم يكن يساوم على مبادئه، فواجه القصر بجرأة، وفضح الاحتلال الإنجليزي في خطبه ومقالاته، حتى غدا رمزًا للنقاء الوطني والإخلاص للقضية.

غير أن السياسة في مصر لم تكن طريقًا معبّدًا. فكلما ارتفع الصوت الحر، حاولت السلطة أن تكتمه. ومع اتساع نفوذ طلعت في الشارع، كان طبيعيًا أن يصبح هدفًا للبوليس السياسي وللقصر معًا. الاعتقالات تكررت، والرقابة اشتدت، حتى وجد نفسه يتنقل بين قاعات المحاكم التي طالما دافع فيها عن المظلومين، إلى الزنازين التي وُضع فيها مع المناضلين.

وهكذا، فإن المرحلة التالية من حياته ستكشف وجهًا آخر للنضال: **نضال خلف القضبان،** حيث لا تُسمع الخطب في الساحات، بل تُكتب التأملات على جدران السجون، وحيث يكتشف المجاهد أن الحرية قد تُسلب من الجسد، لكنها تبقى عصيّة في الروح.

# الفصل الخامس

# بين السجن والمنفى الداخلي

**السجن كقدر وطني**

لم يكن السجن في حياة إبراهيم طلعت نهاية لمسيرته السياسية، بل كان امتدادًا طبيعيًا لها. ففي مصر الأربعينيات، كان طريق المناضل الوطني يمر لا محالة عبر الزنزانة. فالسلطة التي ضاقت بخطبه، والقصر الذي خشِي من نفوذه الشعبي، والاحتلال الذي رأى فيه محاميًا لا يلين، وجدوا جميعًا أن الحل الأمثل لإسكاته هو الزج به خلف القضبان.

لم يكن طلعت غريبًا على هذه التجربة. فقد رأى من قبل زملاءه في الوفد يُساقون إلى السجون، وقرأ عن تجارب المناضلين الذين جعلوا من الزنازين مدارس للتربية الوطنية. لكنه حين خاض التجربة بنفسه، اكتشف أن السجن ليس فقط مكانًا للقيد، بل **مساحة جديدة للنضال**، حيث يتواجه الإنسان مع ذاته كما يتواجه مع جلاده.

**الاعتقالات الأولى: محاولة لإسكات الصوت**

بدأت الاعتقالات الأولى في أعقاب مظاهرات صاخبة بالإسكندرية، حين خرج طلعت على رأس حشود من العمال والطلاب ينددون بالاحتلال. قبض عليه البوليس السياسي، وساقه إلى التحقيق. لم يكن

يتوقع أن يقف المحامي الذي دافع عن المعتقلين السياسيين بالأمس متهمًا اليوم.

لكن طلعت لم يرَ في ذلك سقوطًا، بل **شرفًا ووسامًا**. كان يقول لزملائه:

*"من لم يذق السجن في سبيل الوطن، لم يعرف طعم الحرية حقًا."*

ومنذ تلك اللحظة، بدأ يتعامل مع السجن لا كعقوبة، بل كجزء من ثمن الحرية.

**سجن الأجانب: مدرسة خلف القضبان**

من أبرز محطات اعتقاله دخوله **سجن الأجانب**، ذلك المعتقل الذي ضمّ وجوهًا بارزة من المناضلين السياسيين

أيام الوفد الأخيرة . في هذا السجن، لم يكن السجناء مجرد أفراد معزولين، بل كانوا نُخبة من السياسيين والمفكرين، يتبادلون الرأي والخبرة، ويحوّلون الزنازين إلى قاعات درس وحوار.

جلس طلعت هناك مع زملاء الوفد، ومع شخصيات من تيارات مختلفة: شيوعيون، قوميون، وإخوان مسلمون. كان النقاش يحتدم حول معنى الحرية، طبيعة الاستقلال، ومصير مصر بعد الحرب العالمية الثانية. بالنسبة له، كانت هذه الحوارات بمثابة جامعة جديدة، خرج منها أكثر نضجًا وعمقًا في فهم طبيعة الصراع.

**التضامن الإنساني داخل الزنزانة**

رغم قسوة السجن، شهد طلعت جانبًا إنسانيًا عميقًا. فقد كان السجناء يتقاسمون الطعام القليل، يواسون بعضهم في لحظات الضعف، ويقيمون صلوات جماعية يستمدون منها الصبر. وكان هو بلسانه

القوي يلقي الكلمات التي ترفع المعنويات، فيحوّل لحظة الانكسار إلى مناسبة للتماسك.

كتب في مذكراته: *"في السجن تعلمت أن الحرية ليست في فتح الأبواب، بل في أن تبقى الروح عصيّة على الانكسار."*

**أثر السجن في صقل الشخصية**

خرج طلعت من السجن الأول أكثر صلابة. لم تكسر التجربة عزيمته، بل زادته إيمانًا برسالته. صار يرى نفسه امتدادًا لتاريخ طويل من المناضلين الذين ذاقوا مرارة السجن في سبيل الحرية: من عرابي إلى سعد زغلول. كان يقول: *"الزنازين تربي القادة كما تربي الميادين."*

هذه التجربة جعلته أكثر حذرًا من جهة، وأكثر إصرارًا من جهة أخرى. أدرك أن المواجهة مع السلطة ليست سهلة، لكنها ضرورية، وأن السجن قد يسلب الجسد حريته، لكنه يعجز عن تقييد الفكرة.

**المنفى الداخلي: عزلة القهر**

إلى جانب السجون، عرف طلعت ما يُسمى بـ"المنفى الداخلي". كان البوليس السياسي يفرض عليه إقامة جبرية في بعض الفترات، يمنعه من حضور الاجتماعات أو التواصل مع الجماهير. هذه العزلة كانت قاسية، لكنها كشفت له وجهًا آخر للنضال: الصبر على الوحدة، والتأمل في التجربة.

في تلك الفترات، كان يقضي وقته في الكتابة والقراءة. أعاد دراسة تاريخ مصر، قرأ عن الثورات العالمية، ودوّن خواطره عن الحرية

والدستور. هذه الأوراق التي كتبها في المنفى الداخلي تحولت لاحقًا إلى وثائق هامة تكشف عمق فكره السياسي.

**بين جدران الزنازين: كتابة وتأملات**

في السجن، لم يتوقف عن الكتابة. كان يدوّن يومياته على قصاصات ورق صغيرة، يهرّبها أحيانًا عبر الزوار. كتب عن معاناة السجناء، عن قسوة الحراس، وعن الأمل الذي لا ينطفئ. في إحدى مذكراته كتب: *"كلما أغلقوا باب الزنزانة، فتحت في داخلي نافذة على المستقبل. السجن علّمني أن الحرية تبدأ من الداخل، وأن الاحتلال مهما اشتدّ لن يمنع شروق الفجر."*

**رفاق الكفاح خلف القضبان**

أحد الجوانب اللافتة في تجربة السجن هو أنه جمع طلعت مع شخصيات ستلعب لاحقًا أدوارًا كبيرة في مصر. فقد التقى بأنور السادات وحسن إبراهيم وغيرهما من رجال يوليو داخل المعتقل

أيام الوفد الأخيرة . كانوا آنذاك شبابًا مثله، يتشاركون القيد والأمل. هذه اللقاءات تركت أثرًا عميقًا، وأثبتت أن السجون كانت مصانع للقيادات، وأن كثيرًا من الذين سيحكمون مصر بعد الثورة مروا أولًا عبر بوابات المعتقل.

**كيف صاغت التجربة فلسفته في النضال**

مع مرور السنوات، صاغ طلعت من تجربته في السجون فلسفة خاصة في النضال. لم يعد يرى الحرية مجرد شعار سياسي، بل جوهرًا إنسانيًا

يتجاوز السياسة. كان يقول: *"الحرية ليست أن نُسقط الاحتلال فقط، بل أن نزرع في كل قلب مصري إيمانًا بكرامته."*

لقد تحوّل من محامٍ يرافع باسم الدستور، إلى مفكر ينظر إلى الحرية كقيمة وجودية. هذا التحول جعله أكثر عمقًا في خطابه، وأكثر صلابة في مواقفه.

**بين الأمل والإحباط**

ومع ذلك، لم تخلُ التجربة من لحظات إحباط. فقد كان يرى أحيانًا زملاءه ينهارون، أو يسمع أخبارًا عن صفقات سياسية تثير الشكوك. لكنه كان دائمًا يعود إلى إيمانه بأن التاريخ لا يتوقف عند لحظة، وأن النصر لا يأتي إلا بعد مرارات طويلة.

كان يردد: *"ربما نُسجن اليوم، لكن الحرية غدًا ستخرج من بين هذه الجدران."*

**خلاصة التجربة**

هكذا، شكّل السجن والمنفى الداخلي مرحلة فاصلة في حياة إبراهيم طلعت. فقد خرج منهما أكثر نضجًا وإصرارًا، وأكثر قربًا من الناس الذين رأوا فيه رمزًا للصمود. لم يعد مجرد محامٍ أو خطيب، بل أصبح **شهيدًا حيًا للحرية،** يُنظر إليه بوصفه واحدًا من الذين دفعوا الثمن كاملًا في سبيل الوطن.

ولم تكن هذه نهاية الطريق، بل بداية لمرحلة أشد خطورة، حيث ستدخل مصر كلها أتون العاصفة الكبرى: **الحرب العالمية الثانية،**

**وأحداث 4 فبراير 1942، ثم ما بعد الحرب حتى ثورة يوليو**. وكان طلعت حاضرًا هناك، شاهدًا ومشاركًا، يدفع ضريبة الحرية بلسانه وقلمه وجسده.

# مقدمة انتقالية ( 3 )

## من الزنزانة إلى العاصفة

خرج إبراهيم طلعت من السجن لا كمن خرج من هزيمة، بل كمن خرج من معركة أضافت إلى رصيده صلابة جديدة. لقد علّمته الزنازين أن الحرية ليست جدرانًا مفتوحة، بل روحًا لا تُقهر، وأن المحامي الذي كان يرافع في القاعات صار بعد التجربة صوتًا ينطق باسم كل مظلوم.

غير أن مصر نفسها كانت تدخل طورًا أكثر اضطرابًا. الحرب العالمية الثانية ألقت بظلالها الثقيلة على البلاد، والاحتلال البريطاني شدد قبضته، فيما كان القصر يتلاعب بمصير الأمة. وفي هذا المناخ، وجد طلعت أن المعركة لم تعد مجرد قضية أمام محكمة، أو هتافًا في مظاهرة، بل صارت **صراعًا شاملًا يهدد وجود الوطن نفسه**.

وهكذا يبدأ فصل جديد من حياته، على مشارف العاصفة، حيث تداخلت السياسة بالحرب، والوفد بالأزمات الكبرى، وارتفعت المواجهة إلى ذروة لم يشهدها من قبل.

# الفصل السادس

# على مشارف العاصفة – مصر في الأربعينيات

**الحرب العالمية الثانية: مصر بين مطرقة الاحتلال وسندان القصر**

حين اندلعت الحرب العالمية الثانية عام 1939، وجدت مصر نفسها في قلب صراع لم تختره. فالموقع الاستراتيجي على ضفاف قناة السويس جعلها مطمعًا للقوى المتحاربة، والاحتلال البريطاني فرض وصايته الكاملة على البلاد.

في تلك الأجواء، شدد الإنجليز قبضتهم على كل مفاصل الدولة: فرضوا الرقابة على الصحافة، زادوا من وجودهم العسكري، وقيّدوا نشاط الأحزاب. أما القصر الملكي، فاستغل الاضطراب ليزيد من نفوذه، متلاعبًا بالحكومات، باحثًا عن توازن يضمن بقاءه في الحكم مهما كان الثمن.

كان إبراهيم طلعت يرى أن الحرب تحولت إلى ذريعة لطمس الدستور وقمع الحريات. فكلما ارتفع صوت يطالب بالاستقلال، جاء الرد: "الوضع الدولي لا يسمح." كان يردد في خطاباته: *"إن الحرب التي يتذرعون بها ليست حربنا، معركتنا الحقيقية هي الاستقلال."*

**الوفد بين مقاومة الاحتلال ومساومات السياسة**

في تلك المرحلة، كان الوفد في موقع صعب. من جهة، يمثل الحزب الأكثر شعبية وصوت الأمة في مواجهة الاحتلال، ومن جهة أخرى، كان

عليه أن يناور في مشهد سياسي شديد التعقيد، حيث الإنجليز يفرضون شروطهم والقصر يتلاعب بالسلطة.

إبراهيم طلعت، كقيادي وفدي صاعد، كان من الأصوات الأكثر حدة داخل الحزب. لم يكن يرضى بالمساومات، وكان يعتبر أن أي تراجع أمام الإنجليز خيانة لدماء الشهداء. كتب في إحدى مقالاته: *"الوفد لا يُقاس بعدد مقاعد البرلمان، بل بقدرته على أن يبقى ضمير الأمة حيًا."*

**أحداث 4 فبراير 1942: لحظة الانكشاف**

جاءت لحظة 4 فبراير 1942 لتكون زلزالًا سياسيًا. حين حاصرت الدبابات البريطانية قصر عابدين وأجبرت الملك فاروق على تكليف مصطفى النحاس بتشكيل الوزارة، انكشفت حقيقة التناقضات بين الوفد والاحتلال.

كان طلعت يومها في قلب الشارع، يشهد الغضب الشعبي المتصاعد. صحيح أن عودة النحاس للحكم كانت مطلبًا جماهيريًا، لكن الطريقة التي فرض بها الإنجليز القرار أحرجت الحزب أمام الناس. خرجت أصوات تتهم الوفد بأنه عاد على ظهر الدبابات.

طلعت لم يصمت. دافع عن الوفد، مؤكدًا أن النحاس لم يطلب تدخل الإنجليز، بل أجبر الملك على الخضوع لإرادة الأمة. لكنه في الوقت نفسه اعترف بمرارة أن الحادثة ستظل وصمة في تاريخ الحركة الوطنية. قال في خطبة مشهودة: *"إن 4 فبراير كشف ضعف القصر وخيانة الإنجليز، لكنه لم يكسر إرادة الشعب."*

## خطب طلعت في زمن الحرب

مع تصاعد الغضب الشعبي، أصبح صوت إبراهيم طلعت مطلوبًا أكثر من أي وقت. كان يخطب في ميادين الإسكندرية والقاهرة، يهاجم الاحتلال، ويدعو الناس إلى الصمود.

امتازت خطبه في تلك الفترة بحدة غير مسبوقة. لم يعد يكتفي بانتقاد السياسات، بل صار يفضح بالاسم تواطؤ بعض المسؤولين مع الإنجليز. في إحدى خطبه قال: *"إن معركة الحرية لا تُكسب في صالونات القصر، بل في شوارع الأمة وبين صفوف العمال والطلاب."*

هذه الكلمات كانت كافية لإثارة غضب السلطة، لكنها كانت كافية أيضًا لتكريس صورته كأحد أنقى الأصوات في زمن المساومات.

## صعود الحركات الجديدة: الإخوان والشيوعيون والقوميون

في أجواء الحرب وما بعدها، لم يعد الوفد الصوت الوحيد في الساحة. ظهرت بقوة جماعة الإخوان المسلمين بخطابها الديني، والشيوعيون بخطابهم الاجتماعي، والقوميون العرب بشعاراتهم الوحدوية.

إبراهيم طلعت كان واعيًا لهذه التحولات. لم يعادِ تلك الحركات بشكل مباشر، لكنه كان يرى أن قوتها تنبع من ضعف الدولة وعجز الوفد عن تلبية كل طموحات الشباب. كان يحذّر من أن تشرذم القوى الوطنية قد يمنح الاحتلال فرصة للتمدد.

## المواجهة مع البوليس السياسي

لم تمر خطب طلعت وتحركاته من دون ثمن. البوليس السياسي ضيّق عليه الخناق، استدعاه مرارًا للتحقيق، وفرض رقابة صارمة على مكتبه وصحفه. وفي إحدى المرات، اعتقل مجددًا بتهمة "التحريض على قلب نظام الحكم"، لمجرد أنه دعا في إحدى خطبه إلى *"حكومة منبثقة عن الشعب لا عن القصر."*

لكن كل اعتقال كان يزيد من شعبيته. كانت الجماهير تنتظر خروجه من السجن لتستقبله بالهتاف: "يحيا طلعت... يحيا الوفد."

**قضية فلسطين والجدل حول الجيش المصري**

مع نهاية الحرب، طُرحت قضية فلسطين كأولوية وطنية. كان طلعت من أوائل الأصوات التي طالبت بدعم الشعب الفلسطيني في مواجهة الاستعمار الصهيوني. رأى في فلسطين امتدادًا للقضية المصرية، وكتب: *"من لا يدافع عن القدس لن يستطيع أن يدافع عن القاهرة."*

أيام الوفد الأخيرة

لكنه كان في الوقت نفسه حذرًا من الزج بالجيش المصري في معركة غير مستعدة لها الدولة. دعا إلى إصلاح المؤسسة العسكرية أولًا، ثم خوض المعركة من موقع قوة. هذا الموقف جعل البعض يتهمه بالتردد، لكنه كان يرى أنه صوت العقل في زمن المزايدات.

**مرافعاته ضد القوانين الجائرة**

في البرلمان والمحاكم، استمر طلعت في معاركه القانونية. تصدى لمشاريع القوانين التي أرادت السلطة تمريرها لتقييد الصحافة أو

التضييق على النقابات. كانت مرافعاته في تلك الفترة أشبه ببيانات ثورية، يقرأها الناس في الصحف كما يقرأون الشعر الوطني.

في إحدى المرافعات قال: *"إن القوانين التي تُسنّ لإسكات الصحافة ليست سوى محاولة لدفن صوت الأمة. لكن صوت الشعب لا يُدفن، لأنه يعيش في كل بيت، وفي كل قلب."*

أيام الوفد الأخيرة

**مصر بعد الحرب: على أبواب الانفجار**

بانتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945، كان العالم كله يعيد رسم خرائطه، ومصر كذلك. الإنجليز تمسكوا بوجودهم العسكري، القصر استمر في تلاعبه، والوفد وجد نفسه محاصرًا بين شعب يزداد تطرفًا في مطالبه وخصوم سياسيين يزدادون قوة.

إبراهيم طلعت كان يرى أن البلاد تتجه نحو انفجار لا محالة. كتب في إحدى مقالاته: *"إذا لم تُفتح أبواب الحرية، فسوف يفتحها الشعب بيديه."* لم يكن يعلم أن السنوات التالية ستشهد ثورة تقلب وجه مصر كله، وأنه سيكون واحدًا من الذين سيدفعون الثمن في محاكم الثورة وسجونها.

---

**خلاصة الفصل**

كانت الأربعينيات بحق مرحلة العاصفة. ففيها رأى إبراهيم طلعت الاحتلال في أشد قبضته، والقصر في أقصى تلاعبه، والوفد في أعنف

اختباراته. وفيها برز صوته كأحد القلائل الذين لم يساوموا، الذين جعلوا من الكلمة موقفًا، ومن المحاماة رسالة، ومن السجن وسامًا.

لقد خرج من هذه المرحلة أكثر صلابة، لكنه خرج أيضًا مثقلًا بوعي جديد: أن النضال لم يعد مجرد معارك دستورية أو مظاهرات شعبية، بل أصبح **معركة وجود**، ستفتح أبواب مرحلة أخطر هي مرحلة ما بعد الحرب، وصولًا إلى فجر يوليو 1952.

# مقدمة انتقالية ( 4 )

## من العاصفة إلى المعارك الجديدة

خرج إبراهيم طلعت من الأربعينيات كما يخرج الفارس من معركة طاحنة: مثخنًا بالجراح، لكنه أكثر صلابة وإصرارًا. فقد واجه الاحتلال البريطاني في أشد جبروته، ورأى القصر الملكي في أقصى تلاعبه، وخاض مع الوفد واحدة من أعقد فصول تاريخه بين المساومات والانتفاضات.

لكن الحرب العالمية الثانية التي وضعت أوزارها لم تجلب لمصر السلام، بل تركت وراءها فراغًا ملتهبًا. فالاحتلال ما زال قائمًا، والقصر لم يتراجع، والجماهير صارت أكثر تعطشًا للحرية. وفوق ذلك، أضيفت **قضية فلسطين** إلى جدول النضال، لتتحول مصر من مجرد ساحة مواجهة داخلية إلى طرف مباشر في صراع إقليمي خطير.

في هذا السياق المليء بالتحديات، وجد إبراهيم طلعت نفسه يدخل مرحلة جديدة، حيث لم تعد المواجهة تقتصر على خطب أو مرافعات، بل أصبحت معارك شاملة في البرلمان، في المحاكم، وفي الشارع... إنها **معارك ما بعد الحرب**، التي ستكشف عن وجه جديد للنضال الوطني، وتضعه هو شخصيًا أمام أصعب امتحاناته.

# الفصل السابع

# معارك ما بعد الحرب

### مصر في مفترق الطرق

بانتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945، لم تخرج مصر كما دخلتها. فالحرب التي خاضها العالم على جبهات أوروبا وآسيا تركت في مصر ندوبًا سياسية واقتصادية واجتماعية. الجيش البريطاني ما زال يحتل قناة السويس، الاقتصاد منهك من سنوات الاستنزاف، والقصر لا يزال يتلاعب بالوزارات. أما الشعب، فقد خرج من الحرب أكثر غضبًا، وأكثر وعيًا بضرورة الاستقلال الكامل.

إبراهيم طلعت كان يرى أن ما بعد الحرب لن يكون هدوءًا، بل انفجارًا. كتب في إحدى مقالاته: *"لقد قاتل العالم باسم الحرية والديمقراطية، فكيف يُعقل أن تبقى مصر مكبلة بالاحتلال بعد كل هذه التضحيات؟"*

أيام الوفد الأخيرة

### قضية فلسطين: الامتحان الأكبر

في خضم هذه الأجواء، برزت **قضية فلسطين** كأكبر امتحان للضمير العربي. منذ وعد بلفور 1917 والاستيطان الصهيوني يتصاعد، لكن بعد الحرب تسارعت الأحداث بشكل خطير. جاء قرار تقسيم فلسطين عام 1947 ليشعل الغضب الشعبي في مصر.

كان طلعت من أوائل من اعتبروا القضية الفلسطينية قضية مصرية بامتياز. قال في إحدى خطبه: *"من يظن أن فلسطين بعيدة عنا يجهل أن النار إذا اشتعلت في القدس، فدخانها سيخنق القاهرة."*

أيام الوفد الأخيرة

لكنه لم يكن يندفع إلى الحماسة العاطفية فقط، بل كان يطالب الدولة بالإعداد الجيد. حذّر من زج الجيش المصري في معركة من دون تدريب وتسليح كافٍ، ورأى أن النصر لن يتحقق بالاندفاع بل بالاستعداد. كان هذا الموقف يجعله بين نارين: تيارات وطنية تريد الحرب فورًا، وسلطة مترددة تخشى من تبعاتها.

**الوفد في مواجهة السلطة والاحتلال**

بعد الحرب، عاد الوفد إلى ساحة الصراع بقوة، مستندًا إلى شعبيته التاريخية. لكن الطريق لم يكن سهلًا. فالإنجليز كانوا يرفضون الجلاء، والقصر كان يعرقل أي محاولة للإصلاح.

في البرلمان، خاض طلعت مع زملائه معارك شرسة ضد القوانين التي حاولت السلطة تمريرها لتقييد الحريات. كان يرى أن الحرية الداخلية هي شرط النصر الخارجي. قال في إحدى مرافعاته: *"لا يمكن لجيش مقيد بالدكتاتورية أن يحرر أرضًا، ولا لشعب مُكمم الأفواه أن يقاتل من أجل الآخرين."*

أيام الوفد الأخيرة

**تصاعد الحركة الشعبية**

السنوات بين 1945 و1948 شهدت تصاعدًا غير مسبوق في الحركة الشعبية: إضرابات عمالية، مظاهرات طلابية، هتافات ضد القصر والإنجليز في كل مدينة. كان إبراهيم طلعت حاضرًا في أغلب هذه الأحداث.

في الإسكندرية، قاد مسيرات ضخمة تندد بالاحتلال، وتطالب بالجلاء الكامل. في القاهرة، شارك في مؤتمرات جماهيرية حضرها آلاف من الطلاب والعمال. وفي كل مرة، كان صوته يجلجل: "الجلاء التام أو الموت الزؤام."

هذه المشاركة جعلته عرضة لملاحقات متكررة. البوليس السياسي سجله كـ"محرض دائم"، وأرسل تقارير عن تحركاته. لكنه لم يتراجع، بل كان يزداد صلابة بعد كل مواجهة.

**محكمة التاريخ: المرافعات الوطنية**

لم تكن معاركه قاصرة على الشارع، بل امتدت إلى قاعات المحاكم. ففي هذه المرحلة ترافع في قضايا اعتبرها الناس **محاكمات للتاريخ**. دافع عن صحفيين نشروا مقالات ضد الملك، وعن طلاب اتُّهموا بالتحريض ضد الاحتلال، وعن عمال قادوا إضرابات.

كانت مرافعاته تتحول إلى بيانات سياسية. ففي إحدى القضايا قال: *"إن من يحاكم اليوم ليس هؤلاء الشباب، بل الحرية نفسها. فاختاروا أيها القضاة: هل تحاكمون الحرية، أم تحاكمون الاحتلال الذي سلبها؟"*

هذه الكلمات لم تترك القاعة ساكنة، بل هزت وجدان الحاضرين، وانتقلت إلى الشارع عبر الصحف.

**المواجهة مع القصر: لا ملك فوق الدستور**

لم يكتف طلعت بالهجوم على الاحتلال، بل كان صوته مرتفعًا أيضًا ضد القصر الملكي. في زمن كان كثير من السياسيين يتجنبون ذكر اسم الملك فاروق صراحة، كان طلعت يصرّ على التأكيد أن *"الملك يملك ولا يحكم"*، وأن الدستور هو السيد.

هذا الموقف الجريء جعله تحت رقابة القصر، وفتح ضده أكثر من تحقيق. لكن الجماهير كانت ترى فيه رمزًا للشجاعة، رجلًا لا يساوم ولا يلين.

**الطريق إلى 1948: الهزيمة والانكسار**

حين دخل الجيش المصري حرب فلسطين عام 1948، كان طلعت من بين الأصوات التي حذرت من غياب الاستعداد. ولما جاءت الهزيمة، شعر بمرارة عميقة، ليس فقط لخسارة الأرض، بل لفقدان الثقة بين الشعب وحكومته.

كان يقول في خطبه بعد النكبة: *"لم نهزم في فلسطين وحدها، بل هزمنا لأننا سمحنا للفساد أن ينخر في جسد الوطن."* كان يرى أن المعركة الحقيقية يجب أن تبدأ من الداخل، بإصلاح النظام السياسي وتطهيره من الفساد، وإلا فإن أي حرب خارجية ستكون مغامرة خاسرة.

**اغتيال النقراشي وتصاعد العنف السياسي**

أواخر الأربعينيات شهدت مصر موجة اغتيالات سياسية خطيرة: اغتيال النقراشي باشا عام 1948، ثم اغتيال حسن البنا عام 1949. هذه الأحداث صدمت المجتمع وأكدت أن البلاد تدخل نفقًا مظلمًا.

طلعت كان يحذر من الانزلاق إلى العنف. كان يؤمن أن **النضال السلمي والقانوني** هو الطريق الأنجع، وأن الاغتيالات لا تجلب إلا الفوضى. لكنه كان في الوقت نفسه يدرك أن انسداد الأفق السياسي، وغياب الحريات، هو ما ولّد تلك الانفجارات.

**مصر على أعتاب الثورة**

مع بداية الخمسينيات، كانت مصر تعيش حالة غليان غير مسبوقة. الاحتلال لم يرحل، القصر غارق في الفساد، الحكومة عاجزة، والجيش جريح من هزيمة فلسطين.

إبراهيم طلعت كان يدرك أن شيئًا كبيرًا يقترب. كتب في إحدى مقالاته عام 1951: *"إذا لم يفتح الحاكمون أبواب الحرية للشعب، فسوف يقتحمها بنفسه. وإذا لم يتحقق الجلاء بالدستور، فسوف يتحقق بالثورة."* هذه الكلمات كانت كالنبوءة التي ستتحقق بعد عام واحد فقط في يوليو 1952.

---

**خلاصة الفصل**

في معارك ما بعد الحرب، أثبت إبراهيم طلعت أنه ليس مجرد محامٍ أو خطيب وفدي، بل **صوت الضمير الوطني** في زمن الاضطراب. وقف

ضد الاحتلال بجرأة، وهاجم القصر بشجاعة، ودافع عن فلسطين بعقلانية، وفضح الفساد دون خوف.

كانت تلك السنوات تهيئة مباشرة للانفجار الأكبر الذي سيأتي مع ثورة يوليو. وعندما اندلعت الثورة، وجد طلعت نفسه مرة أخرى في قلب التاريخ، لا متفرجًا عليه، بل أحد الذين سيقفون على منصة المحكمة، هذه المرة أمام محكمة الثورة نفسها.

# مقدمة انتقالية ( 5 )

## من البرلمان إلى منصة الاتهام

خرج إبراهيم طلعت من سنوات ما بعد الحرب وهو أكثر صلابة وخبرة، لكن البلاد نفسها كانت قد وصلت إلى حافة الانفجار. فالهزيمة في فلسطين عرّت فساد النظام، والجماهير فقدت ثقتها في القصر والحكومات، والجيش غلي بالمرارة حتى فاض غضبًا. لم يكن سقوط النظام الملكي عام 1952 مفاجأة لمن تابع مسار الأحداث، بل كان نتيجة منطقية لتراكم الأزمات.

لكن المفارقة أن الرجل الذي قضى عمره مدافعًا عن الحرية والدستور وجد نفسه فجأة أمام **محكمة الثورة**، لا كقاضٍ أو محامٍ، بل كمتهم تُحاكمه السلطة الجديدة. وهكذا انتقل من مقاعد البرلمان والميادين الشعبية إلى منصة الاتهام، حيث سيتكشف فصل جديد من فصول مسيرته، عنوانه: **الثورة والمحكمة**.

# الفصل الثامن

# الثورة والمحكمة

**فجر يوليو: سقوط القصر وصعود الضباط**

في صيف 1952، دوّت في سماء القاهرة أصوات حركة الجيش، لتعلن أن عهد الملك فاروق قد انتهى، وأن مصر تدخل زمنًا جديدًا. كانت الثورة بالنسبة للجماهير خلاصًا من القصر والفساد والاحتلال، لكن بالنسبة لرجال السياسة القدامى، ومنهم إبراهيم طلعت، كانت أيضًا بداية مرحلة غامضة.

لقد قضى عمره وهو يردد أن *"الجيش جزء من الأمة لا يحكمها بل يحميها"* ، فإذا به يستيقظ على واقع جديد: الضباط الشباب يمسكون بمقاليد السلطة، يحكمون باسم الثورة، ويعدون الشعب بالعدل والحرية. كان متحمسًا في البداية، مثل كثير من المصريين، لكنه سرعان ما أدرك أن الأمور ليست على ما يبدو.

**الوفد أمام الثورة: من صديق إلى خصم**

كان حزب الوفد في طليعة القوى السياسية التي همّشتها الثورة. فالضباط رأوا فيه حزب الماضي، رمز المساومات والارتباطات القديمة. وبما أن طلعت كان من أبرز وجوه الوفد وأكثرهم صلابة في الدفاع عن الدستور، فقد صار اسمه ضمن قائمة المستهدفين.

أصدرت السلطة قرارات بحل الأحزاب، ومصادرة الصحف، ومطاردة القيادات السياسية. بالنسبة لطلعت، كان ذلك خنقًا للحياة النيابية التي ناضل من أجلها عقودًا. كتب في إحدى مذكراته: *"لم نقاتل الإنجليز ليحل محلهم مصريون يقمعوننا باسم الثورة."*

**محكمة الثورة: القاضي يصبح متهمًا**

جاءت اللحظة الأكثر قسوة حين استُدعي إبراهيم طلعت أمام **محكمة الثورة**

أيام الوفد الأخيرة . المفارقة كانت صادمة: المحامي الذي اعتاد أن يقف في قاعات المحاكم مدافعًا عن المظلومين، وجد نفسه في dock الاتهام، ماثلًا أمام قضاة من الضباط الشبان.

كانت التهم فضفاضة: "العمل على تقويض النظام الجديد، الدفاع عن رجال العهد البائد، إثارة الجماهير بخطب عدائية." في الحقيقة، لم يكن ذنبه سوى أنه ظل وفيًا لفكرة الدستور، رافضًا أن تُستبدل شرعية الشعب بشرعية البندقية.

**المرافعة الأخيرة: الحرية في وجه السلطة**

حين أتيحت له الفرصة للكلام، لم يتراجع. وقف شامخًا، كما اعتاد، وقال عباراته التي خلدتها الصحف:

*"قد تحاكمونني لأنني دافعت عن دستور بلادي، لكن التاريخ سيحاكمكم لأنكم جئتم بالدبابات لا بالبرلمان. أنتم تملكون السلطة اليوم، لكن الكلمة ستبقى أقوى من السيف."*

كانت تلك المرافعة أقرب إلى بيان سياسي منها إلى دفاع قانوني. أراد أن يترك للأجيال وصية: أن الحرية لا تُختزل في تغيير الحكام، بل في صيانة الدستور وضمان حق الشعب في الكلمة.

**صدى المحاكمة في الشارع**

أثارت محاكمته صدى واسعًا في الشارع. فقد رأت الجماهير أن الرجل الذي طالما دافع عنها أصبح ضحية السلطة الجديدة. كثيرون تساءلوا: كيف يمكن لمحامٍ وطني، معروف بجرأته ضد الاحتلال والقصر، أن يُحاكم بتهمة "الخيانة"؟

لكن الثورة كانت في أوج قوتها، والإعلام الرسمي لم يترك مساحة كبيرة للتساؤل. صُوّر طلعت في الصحف الموالية كأحد "فلول الماضي"، بينما ظل أنصاره يرددون: *"إنهم يحاكمون الحرية لا طلعت."*

**العقوبة والمنفى الداخلي**

لم يُحكم عليه بالإعدام كما جرى مع بعض رجال العهد الملكي، لكنه ذاق مرارة السجن مجددًا، ثم فرضت عليه قيود الإقامة الجبرية في ما يشبه **المنفى الداخلي**. كانت تلك العقوبة كافية لإبعاده عن الحياة العامة، لكنها لم تسلبه مكانته في قلوب الناس.

خلال تلك الفترة، عاش عزلة قاسية، يكتب تأملاته في دفاتر صغيرة، ويراقب مصر وهي تتغير بسرعة تحت حكم الضباط. رأى قوانين الإصلاح الزراعي، ومشاريع التصنيع، وفي الوقت نفسه رأى قمع الصحافة وتكميم الأحزاب. كان قلبه ممزقًا بين الأمل والخوف.

**العلاقة بالضباط: من زمالة السجن إلى خصومة الحكم**

الطريف أن بعض القضاة الذين حكموا عليه كانوا زملاءه في السجن أيام الأربعينيات، مثل أنور السادات وحسن إبراهيم

أيام الوفد الأخيرة . كانوا يومها شركاء في المعاناة، فإذا بهم اليوم خصومًا في قاعة المحكمة.

كان يقول بمرارة: *"السجن كان يوحّدنا، أما السلطة فقد فرّقتنا."* تلك العبارة تلخص مأساة جيله، جيل ناضل معًا ضد الاحتلال، ثم افترق على أبواب الحكم.

**فلسفة النضال في زمن الثورة**

رغم قسوة التجربة، لم يفقد طلعت إيمانه. خرج من المحكمة أكثر اقتناعًا بأن الحرية قيمة لا يمنحها حاكم، بل ينتزعها شعب. كان يرى أن الثورة يمكن أن تكون بداية جديدة، لكنها إن لم تُحصّن بالدستور ستتحول إلى استبداد جديد.

كتب في إحدى تأملاته: *"لقد عرفت السجن تحت الإنجليز، وعرفته تحت المصريين. لكنني مؤمن أن الشعب سينتصر في النهاية، لأن الحرية ليست هبة من حاكم، بل حق يولد مع كل إنسان."*

**أثر المحاكمة على مسيرته**

محكمة الثورة لم تُنهِ مسيرة إبراهيم طلعت، لكنها غيّرت مسارها. لم يعد قادرًا على العمل العلني كما كان، لكن صوته ظل يتردد في الدوائر الوطنية، كرمز لرجل دفع ثمن تمسكه بالمبادئ.

لقد خرج من قاعة المحكمة لا مهزومًا، بل مثقلًا بتجربة جديدة: أن الحرية قد تُصادر بأسماء مختلفة، مرة باسم الملك، ومرة باسم الثورة. لكنه ظل يرى أن الكلمة لا تُقتل، وأن الأجيال القادمة ستقرأ الحقيقة من بين السطور.

---

**خلاصة الفصل**

كانت ثورة يوليو بالنسبة لإبراهيم طلعت لحظة تناقض صارخ: فقد رحّب بسقوط القصر، لكنه رفض أن يُستبدل الاستبداد القديم بآخر جديد. وعندما مثل أمام محكمة الثورة، أثبت أن القيد لا يكسر الكلمة، وأن الحرية قد تتعثر لكنها لا تموت.

وهكذا، دخل مرحلة جديدة من حياته، أكثر قسوة وعزلة، لكنها أيضًا أكثر عمقًا في الفكر والتأمل. مرحلة سيقضيها متنقلًا بين السجون والمنفى الداخلي، محاطًا بذكريات الزملاء الذين صاروا حكامًا، وبأحلام شعب ما زال يبحث عن حريته.

# مقدمة انتقالية ( 6 )

# من قاعة المحكمة إلى جدران الزنزانة

خرج إبراهيم طلعت من قاعة محكمة الثورة مثقلًا بمرارة التجربة. لم يكن السجن جديدًا عليه، فقد عرف زنازين الاحتلال والملك من قبل، لكنه أدرك أن أشد ما يؤلم ليس القيد في حد ذاته، بل أن يأتي القيد باسم الوطن الذي ناضل من أجله.

ومع ذلك، لم تنكسر روحه. فكما حوّل السجن في الأربعينيات إلى مدرسة للنضال، دخل هذه المرة زنازين الثورة وهو يحمل إيمانًا أن الحرية قد تُصادر لفترة، لكنها لا تُمحى من قلوب الناس. بين جدران المعتقلات الجديدة، وبين عزلة المنفى الداخلي، ستتفتح مرحلة أخرى من مسيرته، عنوانها: **الصمود والتأمل،** حيث يلتقي رفاق الأمس وقد صاروا حكامًا، ويعيد صياغة فلسفته في معنى النضال.

# الفصل التاسع

# السجون مجددًا وتأملات المنفى الداخلي

### السجن في زمن الثورة

لم يكن إبراهيم طلعت يظن يومًا أن يعود إلى الزنزانة، لكن تحت راية وطنية هذه المرة. فقد اعتاد أن يُسجن على يد الإنجليز أو القصر الملكي، أما أن يسجنه مصريون رفعوا شعار الحرية والعدالة، فذلك ما اعتبره أقسى أنواع المفارقات.

بعد محاكمته أمام محكمة الثورة، وجد نفسه يقاد إلى السجون من جديد. نفس الأبواب الحديدية، نفس القضبان الباردة، لكن الروح مختلفة: لقد كانت المرة الأولى التي يشعر فيها أن السجن ليس فقط قمعًا من قوة أجنبية، بل قيدًا صنعته أيدي أبناء بلده.

### رفاق الأمس، حكام اليوم

في المعتقلات، التقى وجوهًا كان يعرفها من زمن النضال. بعض الضباط الذين شاركوه الزنازين أيام الأربعينيات، مثل أنور السادات وحسن إبراهيم، صاروا الآن من رجال السلطة

أيام الوفد الأخيرة . كانت المفارقة صادمة.

كتب في تأملاته: *"كان السجن يوحدنا ضد الإنجليز، أما اليوم فقد صار يفصل بيننا. من كانوا معي خلف القضبان صاروا جلاديّ، ومن كنا نحلم معهم بالحرية أصبحوا يخشون الكلمة."*

هذه التجربة كشفت له أن السلطة قادرة على تغيير الوجوه، وأن النضال الحقيقي ليس في إسقاط نظام فقط، بل في حماية قيم الحرية من أن تنحرف في يد المنتصرين.

**الزنازين من جديد: رتابة القيد**

عاد إبراهيم طلعت إلى حياة الزنازين: جدران صامتة، ساعات طويلة من الفراغ، مراقبة دقيقة لكل حركة وكلمة. لكنه لم يستسلم للرتابة. حوّل الزنزانة مرة أخرى إلى مدرسة للنضال. يكتب، يحاور زملاءه، ويعلّم الشباب معنى الدستور والتاريخ.

كان يرى أن السجن امتحان يومي للصبر والإيمان. قال لأحد رفاقه: *"القيد على الجسد يصدأ مع الزمن، لكن الفكرة لا تصدأ. فلنحافظ على فكرتنا حيّة حتى يزول هذا القيد."*

**لقاءات في المعتقل: السياسة من وراء القضبان**

المعتقل كان يجمع تيارات مختلفة: وفديون، شيوعيون، إخوان، قوميون. كانت النقاشات لا تنتهي: عن طبيعة الثورة، عن معنى الشرعية، عن الطريق إلى الحرية.

طلعت كان يحاول أن يلعب دور الجسر، يتحدث بلغة القانون والاعتدال، لكنه لم يتنازل عن قناعاته. كان يرى أن الحرية لا تُجزأ: لا معنى لإصلاح زراعي أو نهضة صناعية إذا لم تُصن حرية الرأي والكلمة. وكان يردد: *"الدستور قبل الخبز، لأنه يضمن الخبز والكرامة معًا."*

**المنفى الداخلي: عزلة قسرية**

إلى جانب السجن، فرضت عليه السلطة أحيانًا إقامة جبرية فيما يشبه المنفى الداخلي. عُزل عن الناس، مُنع من حضور الاجتماعات أو إلقاء الخطب، ووضعت حوله رقابة مشددة.

هذه العزلة كانت قاسية، لكنها دفعته إلى التأمل العميق. كان يقرأ بنهم، يعود إلى كتب التاريخ والفلسفة، ويكتب خواطره على أوراق صغيرة. هذه الكتابات لم تكن مجرد يوميات، بل نصوصًا فكرية صاغ فيها فلسفته حول معنى النضال والحرية.

كتب في إحدى أوراقه: *"المنفى الداخلي أصعب من السجن، لأنك ترى وطنك من بعيد ولا تستطيع أن تلمسه. لكن حتى في العزلة، الحرية تسكن قلبي كما يسكن الأمل صدر كل مصري."*

**بين الأمل والإحباط**

لم تخلُ التجربة من لحظات إحباط. فقد كان يرى بعض رفاق الأمس وقد انهاروا تحت الضغوط، أو تنازلوا وقبلوا بالتعاون مع السلطة الجديدة. كان ذلك يؤلمه، لكنه كان يقول: *"الحرية امتحان لا يجتازه الجميع. بعضهم يسقط، وبعضهم يصمد حتى النهاية."*

أما هو، فظل صامدًا، رغم ما تعرض له من تضييق وملاحقة. كان يؤمن أن النضال ليس نصرًا سريعًا، بل مسيرة طويلة تحتاج إلى صبر الأجيال.

**صورة المجاهد في أعين الناس**

رغم عزله وسجنه، لم يغب اسمه عن الناس. كان المواطنون يتداولون أخباره سرًا، ويرددون قصصًا عن صلابته في الزنازين. صار رمزًا للمجاهد الذي لا ينكسر، وللمحامي الذي يدافع عن الحرية حتى وهو أسير.

في الشارع، كان اسمه يذكر باحترام. فبينما انهارت صور كثير من السياسيين، بقي إبراهيم طلعت محتفظًا بمكانته الأخلاقية، لأنه دفع الثمن من حريته ولم يبع قضيته.

**الحرية كقيمة داخلية**

مع مرور الوقت، بلور طلعت فلسفة جديدة للحرية. لم يعد يراها فقط في القوانين والدساتير، بل في صمود الروح. كان يقول: *"الحرية أن تقول لا حتى لو قيدوا فمك، وأن تظل واقفًا حتى لو أجلسوك قسرًا."*

هذه الفلسفة جعلته أكثر هدوءًا، لكنه لم يفقد الحدة في كلماته. صار يرى أن النضال ليس فقط معركة سياسية، بل معركة روحية وأخلاقية، وأن السجن يمكن أن يكون مدرسة للإنسان بقدر ما هو قيد على جسده.

**من الزنزانة إلى التاريخ**

حين خرج من السجن أخيرًا، لم يخرج منهزمًا. خرج وفي يده رصيد من التجربة والصلابة، وفي قلبه قناعة بأن الحرية أثمن من العمر نفسه. كان يعرف أن السلطة الجديدة ستستمر في التضييق عليه، لكنه لم يعد يبحث عن منصب أو منصّة. كل ما أراده أن يظل شاهدًا حيًا على أن الحرية لا تموت.

**خلاصة الفصل**

لقد كانت تجربة السجون المتكررة والمنفى الداخلي بعد ثورة يوليو فصلًا مريرًا في حياة إبراهيم طلعت، لكنها في الوقت نفسه صاغت حكمته النهائية. عرف أن الاستبداد قد يغيّر وجوهه، من ملك إلى ضابط، لكنه يبقى استبدادًا إذا صادر حرية الناس.

ومن بين جدران الزنازين، ومن عزلة المنفى، خرج بوصية للأمة: أن تظل متمسكة بالحرية والدستور، لأنهما جوهر الكرامة الإنسانية. كان يدرك أن جيله ربما لم يحقق كل ما حلم به، لكن الأجيال القادمة ستكمل المسيرة.

# مقدمة انتقالية ( 7 )

# من الزنازين إلى ذاكرة الوطن

خرج إبراهيم طلعت من السجون والمنفى الداخلي وقد تقدّم به العمر، لكن نبرته لم تفقد صلابتها، وعينه لم تفقد بريقها. عاش ما يشبه الغربة في وطنه، صامتًا حين صمت كان حكمة، وناطقًا حين كان الكلام شهادة. لم يعد في حاجة إلى المناصب أو المنابر، فقد صار هو نفسه رمزًا: رمزًا لصمود رجل لم يساوم على الحرية، ولم يبع قضيته رغم تقلب العصور.

وبينما كانت مصر تمضي في مسارات جديدة، ظل هو شاهدًا أمينًا على أن النضال ليس حدثًا عابرًا، بل مسيرة عمر. وهكذا نصل إلى المحطة الأخيرة في حكايته: **حصاد العمر وإرث المجاهد**، حيث يتجسد معنى أن يرحل الإنسان جسدًا لكنه يبقى أثرًا في الذاكرة الوطنية.

# الفصل العاشر

# حصاد العمر وإرث المجاهد

**بين الماضي والحاضر**

حين بلغ إبراهيم طلعت خريف العمر، لم يعد في حاجة إلى ضجيج المنابر ولا صخب الميادين. فقد عاش كل ذلك: الخطابة في الساحات، المرافعات في المحاكم، المظاهرات في الشوارع، والزنازين التي ذاق بردها ومرارتها. صار يجلس إلى نفسه، يتأمل الطريق الطويل الذي قطعه، ويعيد قراءة فصول حياته كما لو كانت كتابًا ضخمًا، صفحاته كتبت بالعرق والدموع والأمل.

كان يدرك أن الزمن قد تبدل، وأن أجيالًا جديدة قد ولدت لا تعرف تفاصيل معارك الثلاثينيات والأربعينيات، لكن صدى نضاله ظل حاضرًا في ذاكرة الناس، كأحد الأصوات التي لم تخن الحرية، ولم تساوم على الاستقلال.

**الوفاء للمبادئ رغم تبدل العصور**

أكثر ما ميّز إبراهيم طلعت أنه ظل وفيًا لمبادئه مهما تبدلت الظروف. فقد وقف في وجه الاحتلال الإنجليزي وهو شاب، وواجه القصر الملكي وهو في أوج سلطته، ثم لم يتردد في انتقاد سلطة الضباط بعد الثورة. كان يؤمن أن الحرية مبدأ لا يقبل القسمة، وأن العدالة لا تُؤجَّل بحجة الظروف.

كتب في إحدى وصاياه: *"إن الحرية لا ترتدي زيًّا واحدًا، قد تقيدها عمامة الملك أو قبعة المستعمر أو بزّة الضابط، لكنها تبقى حرية منقوصة. واجبنا أن ندافع عنها في كل حال."*

**صورة المجاهد في عيون الناس**

في الشارع، ظل الناس ينظرون إليه باحترام. لم يعد رمزًا حزبيًا وفديًا فقط، بل أصبح رمزًا وطنيًا عامًا. في المقاهي والجامعات والأسواق، كان يُذكر اسمه كمرادف للصمود.

كانت صورته مختلفة عن كثير من السياسيين الذين انطفأ نجمهم بعد سقوط القصر أو بعد أن بايعوا الثورة. وحده طلعت ظل محتفظًا بمكانته الأخلاقية، لأنه لم يبدّل ولم يتلوّن، بل دفع ثمن صراحته من حريته وعمره.

**كتابات وتأملات أخيرة**

في سنواته الأخيرة، لجأ إلى الكتابة كوسيلة للتعبير. لم يعد يملك المنابر، لكنه امتلك القلم. دوّن تأملاته عن الحرية والوطن والدستور، وعن معنى النضال والوفاء.

في إحدى مقالاته كتب: *"قد يظن البعض أن السجن يُخرس الأحرار، لكنه في الحقيقة يجعلهم أكثر وضوحًا. لقد دخلت الزنازين مرات عديدة، وفي كل مرة خرجت أكثر إيمانًا بأن الحرية لا تموت."*

هذه الكتابات، وإن لم تُنشر كلها في حياته، صارت لاحقًا مرجعًا للأجيال الجديدة التي بحثت عن معنى النضال الصادق في زمن كثرت فيه الشعارات وقلّت فيه المواقف.

**حصاد العمر: بين الانتصار والهزيمة**

حين ينظر المؤرخ إلى حياة إبراهيم طلعت، قد يتساءل: هل كان منتصرًا أم مهزومًا؟ لقد عاش السجون أكثر مما عاش الحرية، وخسر قاعات البرلمان والمحاماة، وانتهى به الأمر إلى المنفى الداخلي. لكن الحصاد الحقيقي لم يكن في المقاعد أو المناصب، بل في البقاء شاهدًا صادقًا على أن الكلمة قد تُسجن لكنها لا تُهزم.

الهزيمة الحقيقية كانت من نصيب من باعوا قضاياهم، لا من نصيب رجل ظل ثابتًا حتى النهاية. أما الانتصار، فكان في قدرته على أن يظل رمزًا للأمانة الوطنية، وأن يورث للأجيال درسًا في معنى الصمود.

**الإرث الفكري والوطني**

إرث إبراهيم طلعت لا يُقاس فقط بما فعله في المحاكم أو المظاهرات، بل بما زرعه في الوعي الوطني من قيم. لقد علم الناس أن:

- الحرية ليست منحة بل حق.
- الاستقلال لا يتحقق إلا بوحدة الشعب.
- الدستور هو الحصن الأول ضد الاستبداد.
- النضال ليس لحظة عاطفية، بل مسيرة طويلة تحتاج إلى صبر الأجيال.

هذه المبادئ كانت بمثابة البذور التي زرعها، والتي أثمرت لاحقًا في حركات شبابية ووطنية استلهمت سيرته لتواصل الطريق.

**بين النسيان والذاكرة**

مثل كثير من المجاهدين، حاولت بعض السلطات أن تضعه في الظل، أن تمحوه من الصفحات الرسمية. لكن الذاكرة الشعبية أقوى من النسيان. ظل اسمه يتردد في الحكايات، وظلت صورته تزين مقالات الكتاب الأحرار، وبقيت كلماته تُقرأ كوصايا وطنية.

وهكذا، فإن إرثه لم يكن في التماثيل أو الاحتفالات الرسمية، بل في قلوب البسطاء الذين رأوا فيه صورة الرجل الذي يشبههم، لكنه تجرأ أن يقول ما لم يستطيعوا قوله.

**الرحيل الهادئ**

في يوم ١٦ من يناير ١٩٩٣ رحل إبراهيم طلعت كما عاش: بصمت ووقار. لم تُقرع الطبول لرحيله، ولم تُرفع الرايات الرسمية، لكنه رحل وهو محاط بمحبة الناس الذين عرفوا صدقه.

في جنازته، لم تكن الحشود ضخمة كما كانت في مسيرات الأربعينيات، لكن كل من حضر كان يدرك أنه يودع رجلًا عاش حياته كلها من أجل الكرامة. أحد رفاقه قال يومها: *"لقد عاش حرًا ومات حرًا. ذلك يكفي."*

**إرث المجاهد للأجيال**

بعد رحيله، ظل إرثه حاضرًا في النقاشات الوطنية. كلما عادت مصر لتسأل نفسها عن معنى الحرية والدستور، ظهر اسمه في الذاكرة. صار

رمزًا لكل من يرفض المساومة، ولكل من يرى أن الاستقلال لا يكتمل إلا بالحرية الداخلية.

كان درسه الأكبر أن النضال لا يُقاس بنتائجه المباشرة، بل بقدرته على أن يزرع الأمل ويورث المبادئ. فقد رحل جسده، لكن إرثه ظل نارًا تحت الرماد، تلهم كل جيل جديد يبحث عن الحرية.

---

**خلاصة الفصل**

في حصاد العمر، لم يملك إبراهيم طلعت إلا سيرته. لكنها سيرة تكفي لتبقى. فقد عاش مجاهدًا، صلبًا، صادقًا، دفع الثمن من عمره وحريته، لكنه خرج من التجربة كلها بإرث وطني وأخلاقي لا يُشترى ولا يُباع.

إن إرثه الحقيقي هو أنه أثبت أن الحرية ليست حلمًا بعيدًا، بل واقعًا يمكن أن يصنعه الرجال الأحرار. وأن الكلمة قد تُسجن لكنها لا تموت، وأن المجاهد الحقيقي لا يقاس بما ربحه في حياته، بل بما تركه بعد رحيله من أثر خالد.

# ختام

## الكلمة التي لا تموت

حين نستعيد سيرة إبراهيم طلعت، لا نقرأ مجرد قصة رجل من رجال السياسة أو المحاماة، بل نقرأ حكاية وطن في مرايا إنسان. فمنذ الجذور الأولى في بيت مصري بسيط، مرورًا بمقاعد الدراسة وميادين الثورة، وصولًا إلى قاعات المحاكم وزنازين السجون، نجد أمامنا رحلة كاملة تجسد معنى أن يُكرّس العمر كله من أجل الحرية.

لقد عاش طلعت بين زمنين: زمن الاحتلال والقصر، وزمن الثورة والضباط. وفي كلا الزمنين، كان موقفه واحدًا: لا سلطة فوق الشعب، ولا دستور يُغتصب باسم الضرورة. لم يكن يهمه من يجلس على العرش أو على الكرسي، بل كان يهمه أن يبقى **الحق أعلى من السلطان**. وهذه الثباتية في المبدأ هي ما جعلته رمزًا يتجاوز العصور.

النضال في حياته لم يكن لحظة حماسية عابرة، بل مسيرة طويلة، مليئة بالهزائم والانتصارات، بالآمال والانكسارات. ذاق مرارة السجن في ظل الإنجليز، ثم عاد إليه في زمن المصريين، لكنه ظل يقول:
*"القيد لا يكسر الحرية، الحرية تُولد مع الإنسان وتموت بموته فقط."*

وفي النهاية، لم يترك وراءه ثروة ولا منصبًا ولا سلطة، بل ترك شيئًا أعمق: **ترك معنى**. ترك إرثًا من الصدق والصلابة، من الوفاء للمبادئ،

من الإيمان بأن الوطن لا يُبنى بالخطابة وحدها ولا بالرصاص وحده، بل بالكلمة الحرة التي تزرع في القلوب شجاعة التمسك بالعدل.

لقد علّمنا أن النضال ليس غاية في ذاته، بل وسيلة لحماية كرامة الإنسان. وأن المجاهد الحقيقي ليس من ينتصر في معركة واحدة، بل من يصمد لعقود وهو يواجه الريح والظلم والخذلان. وأن الحرية قد تتعثر، قد تُسجن، قد تُنفى، لكنها لا تموت، لأنها تعيش في وجدان الناس.

وهكذا، حين نغلق صفحات هذا الكتاب، لا نغلق سيرة رجل انتهى، بل نفتح على الأجيال القادمة نافذة تقول: إن في مصر دائمًا رجالًا يرفضون المساومة، ويختارون طريق الكلمة على طريق الخوف. إبراهيم طلعت لم يكن وحده، لكنه كان أحد الأصوات النقية التي أثبتت أن التاريخ لا يُكتب بالمدافع وحدها، بل أيضًا بأقلام من آمنوا بأن الحرية أثمن من العمر نفسه.

إنه درس أخير يتركه لنا:

قد يرحل الجسد، لكن تبقى الكلمة، وتبقى الفكرة، وتبقى الحرية التي عاش ومات من أجلها.

**محيي الدين إبراهيم**

**القاهرة في 4 سبتمبر 2025**